مخالفات في بيوتنا

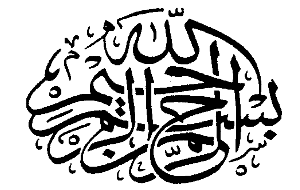
فضيلة الشيخ

عصام محمد الشريف

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

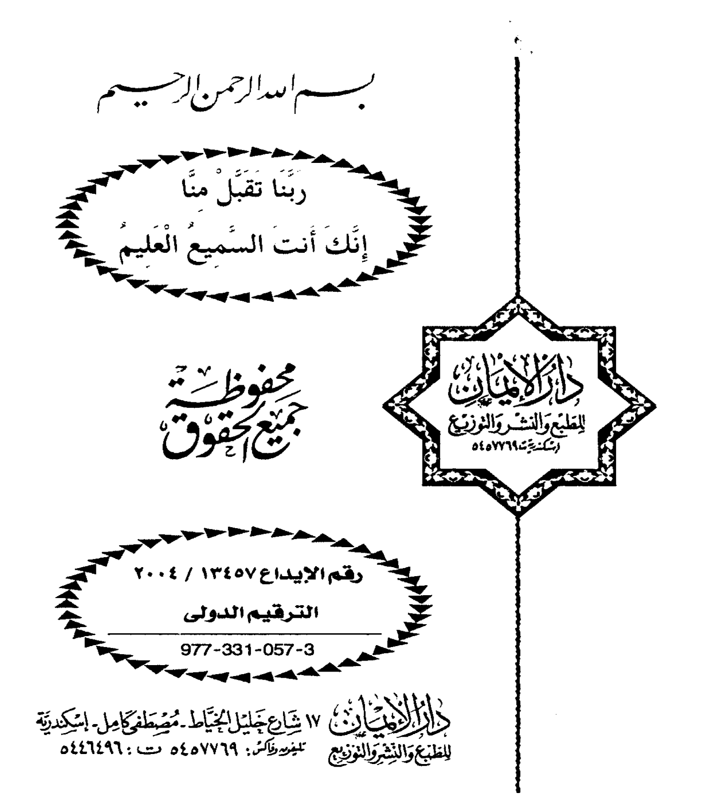


دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩



مخالفات في

بُيُوتِنَا



بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

محفوظة
جميع الحقوق

رقم الإيداع ١٣٤٥٧ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولى

977-331-057-3

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين . . . حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ـ كما ينبغي لأسمائك الحسنى، وصفاتك العلي.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

اللهم اختم لنا بخاتمة السعادة، واجعلنا ممن كتبت لهم الحسنى وزيادة.

اللهم صلِّ على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين، وذريته وأهل بيته، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

إن الأسرة المسلمة هي القلعة الأخيرة المستهدفة من قِبَل

أعداء الإسلام، فإن قُوضت فقـد قُوض المجتمع كـله، فلا دين ولا أخـلاق ولا كرامة حينئـذ ، وإن نجحنا أن نعبر بها إلى مرفـأ الإيمان والسلامة، فـقد نجـا المجتمـع بأسره من براثن أعـدائـه، وظل للدين عـزه، وللأخــلاق مكانًا في المجتمع .

لذا كـان لدور الوالدين داخل الأسـرة شـأنًا عظيـمًـا وخطيرًا، إن تقاعـسوا عن القيام به، فقد ظلمـوا أنفسهم، وظلموا أولادهم، وظلموا مجتمعهم، ويكون حسابهم عند الله عظيمًا إن لم يتوبوا ويتداركوا هذا الخطر الداهم.

وانطلاقًا من قوامة الرجل داخل البيت ومسئوليته لقوله ﷺ : **«والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته»**[(١)] ، وكـذلك الأم شريكة الرجل في المسئـولية داخل البـيت، فلابد أن يدركا حقـيقة مسئوليتـهما وخطرها، والدور الهام الذي أناطهـما الله تعـالى به تجـاه أسرتهـمـا، وأن يقومـا

(١) رواه البخاري.

بمسئولية التربية الصحيحة، والتوجيه السليم، بالنصح والإرشاد تارة، وبأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر تارة أخرى، وبالأخذ على أيدي المقصرين والغافلين مرة أخرى.

لقد (قرر الإسلام مكانة عظيمة للأسرة، تتجلى من الاهتمام بشؤونها في كتاب الله زواجًا ورضاعًا وطلاقًا وإرثًا، واستطاعت الأجيال المتعاقبة أن ترسخ معاني إسلامية عميقة في الأسرة في مجتمعاتنا، وقد أحس أعداؤنا - وهم يحاولون هدم هذه الأمة - صلابة هذه اللبنة، وقوة هذا الحصن.

ومن أجل ذلك كان في الحقبة الأخيرة هجوم مركز على الأسرة، استخدموا له كل القوى التي يمكن أن تصل إلى أيديهم، وما أكثرها!! ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (سورة الأنفال: ٣٠). لقد استخدموا سن القوانين التي تفتت الأسرة في كثير من بلاد المسلمين وشنوا حملات عليها عن طريق الفن بواسطة وسائل النشر

والإعلام من قصص وصحف ومجلات وإذاعة وتليفزيون ومسرح وسينما، ومازالوا في طريقهم ماضين)[١].

ولعل من أخطر الحملات المسعورة ضد الأسرة المسلمة تلك المنكرات التي تغلغلت داخل البيت، حتى أصبحت عادة يصبح الناس معها ويمسون، ولا يبالون بخطرها وعظيم شررها.

من أجل ذلك كانت هذه الرسالة التي بين يدي القارئ الكريم لتحذر المسلمين من خطر المنكرات الموجودة في بيوتنا، وآثارها السيئة على أهل البيت جميعهم بلا استثناء.

والله أسأل أن ينفع بما أكتب، وأن يقرَّ به عيني يوم لقاه: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (سورة الشعراء: ٨٨-٨٩).

---

(١) نظرات في الأسرة المسلمة للدكتور محمد لطفي الصباغ - ص(٢٨).

يا نفس،

إذا ما قال لي ربي
أما استحييت تعصيني
وتُخفي الذنب مِنْ خَلْقي
وبالعصيان تأتيني
فما قولي له لمّا
يعاتبُني ويُقْصيني

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آلهوصحبه وسلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

عصام بن محمد الشريف

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين



الاعتصام بالكتاب والسنة سبيل النجاة في الدنيا والآخرة

قال الله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (سورة النساء: ٦٥).

قال ابن كثير ـ رحمه الله : ـ «يقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يُحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور كلها، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن، فيسلمون لذلك تسليمًا كليًا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة»[1].

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٢٠).

وقال صاحب الظلال: «فهذه حقيقة كلية من حقائق الإسلام، جاءت في سورة قسم مؤكدة مطلقة من كل قيد، وليس هناك مجال للوهم أو الإيهام بأن تحكيم الرسول ﷺ هو تحكيم شخصه، وإنما هو تحكيم شريعته ومنهجه، وإلا لم يبق لشريعة الله وسنة رسوله مكان بعد وفاته ﷺ، وذلك قول أشد المرتدين إرتداداً على عهد أبي بكر رضي الله عنه، وهو الذي قاتلهم عليه قتال المرتدين، بل قاتلهم على ما هو دونه بكثير، وهو مجرد عدم الطاعة لله ولرسوله، في حكم الزكاة، وعدم قبول حكم رسول الله فيها بعد الوفاة.

وإذا كان يكفي لإثبات (الإسلام) أن يتحاكم الناس لشريعة الله وحكم رسوله فإنه لا يكفي في (الإيمان) هذا، ما لم يصحبه الرضى النفسي، والقبول القلبي، وإسلام القلب والجنان في إطمئنان.

هذا هو الإسلام وهذا هو الإيمان، فلتنظر نفس أين هي من الإسلام، وأين هي من الإيمان قبل إدعاء الإسلام،



وإدعاء الإيمان»[1].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة النور: ٥١).

قال ابن كثير: « أخبر تعالى عن صفة المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله الذين لا يبغون دينًا سوى كتاب الله وسنة رسوله فقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾

أي سمعًا وطاعة، ولهذا وصفهم تعالى بالفلاح وهو نيل المطلوب والسلامة من المرهوب فقال تعالى: ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ »[2].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ

---

(١) في ظلال القرآن (٢/ ٦٩٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٩٩).

تأويلاً﴾ (سورة النساء: ٥٩).

قال صاحب الظلال، «إن المرجع فيما تختلف فيه وجهات النظر في المسائل الطارئة المتجددة، والأقضية التي لم ترد فيها أحكام نصية[١].

إن المرجع هو الله ورسوله! أي شريعة الله ورسوله ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾

وبهذا يبقى المنهج الرباني مهيمنًا على ما يطرأ على الحياة من مشكلات وأقضية كذلك، أبد الدهر في حياة الأمة المسلمة. وتمثل هذه القاعدة نظامها الأساسي، الذي لا تكون مؤمنة إلا به، ولا تكون مسلمة إلا بتحقيقه، إذ هو يجعل الطاعة بشروطها تلك، ورد المسائل التي تجد وتختلف فيها وجهات النظر إلى الله ورسوله، شرط الإيمان

---

(١) الرجوع إلى الله ورسوله ﷺ في كل شيء سواء كانت المسائل طارئة متجددة أو غير طارئة، وسواء كانت الأقضية لم ترد فيها أحكام نصية أو ورد، فالأصل هو الرجوع إلى الكتاب والسنة.

وحد الإسلام، شرطًا واضحًا ونصًا صريحًا »[١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة آل عمران: ٣٢) . ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٢) . ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ (سورة المائدة: ٩٢) . ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ (سورة النور: ٥٤) . ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾ (سورة الأحزاب: ٣٦) .

يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: (مدار السعادة الدنيوية والأخروية على الاعتصام بالله، والاعتصام بحبله، ولا نجاة إلا لمن تمسك بهاتين العصمتين.

فأما الاعتصام بحبله فإنه يعصم من الضلالة،

---

(١) في ظلال القرآن (٢/ ٦٨٧)

والاعتصام به يعصم من الهلكة، فإن السائر إلى الله كالسائر على طريق نحو مقصده، فهو محتاج إلى هداية الطريق، والسلامة فيها، فلا يصل إلى مقصده إلا بعد حصول هذين الأمرين له.

فالدليل كفيل بعصمته من الضلالة، وأن يهديه إلى الطريق، والعدة والقوة والسلاح التي بها تحصل له السلامة من قطاع الطريق وآفاتها. فالاعتصام بحبل الله يوجب له الهداية واتباع الدليل، والاعتصام بالله يوجب له القوة والعدة والسلاح» [١].

ولقد جاءت الآيات أيضًا تبين لنا ثمرة الاعتصام بالله، وبسنة رسوله ﷺ:

فقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (سورة النساء: ١٣). وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٦٠).

الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (سورة النساء: ٦٩) . وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (سورة النور: ٥٢). وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (سورة الأحزاب: ٧١) .

وقد جاءت السنة متواترة أيضًا لتوصل عندنا هذا الأصل الأصيل، وهو أن الاعتصام بالكتاب والسنة سبيل النجاة في الدنيا والآخرة فمنها:

ما رواه أبوداود والترمذي وغيرهما عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وَجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله! كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمَّر عليكم عبدٌ، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»[1] .

وعن أبي شريح الخزاعي قال: خرج علينا رسول الله

(١) حديث صحيح، صحيح الترغيب والترهيب. (١/ ٢٠)

ﷺ فقال: «أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟ قالوا: بلى. قال: إن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً»[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال: «إن الشيطان قد يئسَ أن يُعبد بأرضكم، ولكن رضي أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم، فاحذروا، فإني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، كتاب الله وسنة نبيه..»[2]. الحديث.

وعن أبي أيوب الأنصاري قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وهو مرعوب فقال: «أطيعوني ما كنت بين أظهركم، وعليكم بكتاب الله، وأحِلُّوا حلاله، وحرِّموا حرامه»[3].

وعن عبد الله بن مسعود قال: «إن هذا القرآن شافع مُشَفَّعٌ، من اتبعه قاده إلى الجنة، ومن تركه أو أعرض عنه

---

(١) قال المنذري: رواه الطبراني في الكبير» بإسناد جيد، وصححه الألباني «المصدر السابق».

(٢) رواه الحاكم، وحسنه الألباني «المصدر السابق».

(٣) رواه الطبراني، وصححه الألباني ـ المصدر السابق ـ.

(أو كلمة نحوها) زُجَّ في قفاه إلى النار».

وروى مسلم عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من رغب عن سنتي فليس مني».

(أساس الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فالشطر الأول هو التوحيد، أما الشطر الثاني فهو الإيمان بالرسول ﷺ، والتصديق بما جاء به من عند الله سبحانه والاقتداء به، وامتثال أمره، وهذا هو الاعتصام بالكتاب والسنة.

والاعتصام من العصمة، وهو التمسك بما يعصمك ويمنعك من المحذور، والاحتماء من كل ما يضرك في دينك وآخرتك، ومدار السعادة الدنيويَّة والأخروية على الاعتصام بحبل الله[1]، قال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣).

والمراد بالحبل الكتاب والسنة على سبيل الاستعارة،

---

(١) مدارج السالكين للإمام ابن القيم الجوزية (١/ ٤٦٠).

فكما أن الحبل سبب لحصول المقصود به من السقي وغيره، فكذلك الاعتصام بالكتاب والسنة سبب لسعادة الإنسان ونجاته من عذاب جهنم[١]. كما أن هذا الاعتصام طريق لابد منه للانتصار على النفس الأمارة بالسوء والشيطان المتربص الماكر. وفي ذلك يقول الحق سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (سورة الحج: ٧٨).

وقد استدل الإمام ابن القيم - رحمه الله - بهذه الآية الكريمة على منزلة الاعتصام وأهميته فقال: (أي: متى اعتصمتم به تولاكم ونصركم على أنفسكم وعلى الشيطان، وهما العدوان اللذان لا يفارقان العبد، وعداوتهما أضر من عداوة العدو الخارجي، فالنصر على هذا العدو أهم، والعبد إليه أحوج، وكمال النصرة على العدو بحسب كمال الاعتصام بالله)[٢].

وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تأمر

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (١٣/ ٢٤٥).
(٢) مدارج السالكين (١/ ١٨٠).

بالاعتصام بالكتاب والسنة، والاستجابة لله ورسوله والطاعة والتسليم لأمر الله ورسوله، وتبين أثر هذه الاستجابة في حياة المسلم وسعادته في الدنيا والآخرة. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (سورة الأنفال: ٢٤).

فالاستجابة لأمر الله ورسوله فيها النجاة والحياة، حياة القلب ونجاته من أسر الشهوات وقيودها، وحياة العقل وانطلاقه من أغلال الجهل والشك والشبهات، وحياة الإنسان وتحرره من ذل العبودية للبشر، وتحقيق عزته وسموه، وحياة المجتمع بتماسكه وطهارته وقوته، ثم حياة السعادة الأبدية في الآخرة، فما أعظمها من حياة!!.

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (سورة الرعد: ١٨). وقد أوجب الله على عباده طاعة الرسول ﷺ، وجعلها من طاعته - عزَّ وجلَّ -، وبيَّن أن السنة

النبوية وحي من عند الله يجب التمسك بها والحرص عليها.

قال تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (سورة النساء: ٨٠). وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (سورة النجم: ٣-٤). وقال - عزّ وجلّ -: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (سورة الحشر: ٧).

وهذا الاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه، والتسليم لشرع الله، هو العروة الوثقى المنجية من الهلاك، قال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (سورة لقمان: ٢٢).

كما تظاهرت نصوص الكتاب والسنة على وجوب طاعة الله ورسوله والانقياد عن رضًا ومحبة لأمر الله ورسوله، والتسليم بذلك دون أى مخالفة أو منازعة أو ريبة. قال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا

تَسْلِيمًا﴾ (سورة النساء: ٦٥). وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥١ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (سورة النور: ٥١-٥٢).

فإذا التزم المسلم بطاعة الله رسوله والاعتصام بالكتاب والسنَّة، نال رضاء الله وجنته. روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»[1].

ولا يتم الاعتصام بالكتاب والسنة ما لم يحرص المسلم على التأسي والاقتداء بالرسول ﷺ فالقدوة طريق الاعتصام، وقد كانت سيرة الرسول ﷺ تطبيقًا عمليًا لما يأمر به الإسلام ويحث عليه، ولذلك أمرنا الله ـ سبحانه ـ بالتأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله. قال

(١) صحيح البخاري ـ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ـ باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٨/ ١٣٩).

تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (سورة الأحزاب: ٢١).

كما لا يتحقق الاعتصام بالكتاب والسنة ما لم يلتزم المسلم بالإخلاص الذي هو الأساس في قبول الأعمال، فالله سبحانه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم. قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ (سورة البينة: ٥). وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ﴾ (سورة الأنعام: ١٦٢-١٦٣).

ولاشك أنه لابد من ترسيخ الإخلاص في النفس، وتصحيح النية للتخلص من داء الرياء الذي يحبط الأعمال، ولهذا صدَّر الإمام البخاري كتابه الصحيح بحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»[1].

---

(١) رواه البخاري في بداية صحيحه، ومسلم في الأمارة - رقم (١٩٠٧).

وقد نُقل عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال: (أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث: حديث عمر: «إنما الأعمال بالنيات» وحديث عائشة: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[1]، وحديث النعمان بن بشير: «الحلال بيِّن والحرام بيِّن»[2])[3].

وتوجيه ذلك أن الدين يرجع إلى فعل المأمورات وترك المحظورات والتوقف عن الشبهات، وهذا كله تضمنه حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، **وإنما يتم ذلك بأمرين:**

أحدهما - أن يكون العمل في ظاهره على موافقة السنة، وهذا ما تضمَّنه حديث عائشة رضي الله عنها.

والثاني - أن يكون العمل في باطنه يُقصد به وجه الله - عزَّ وجلَّ - كما تضمنه حديث عمر رضي الله عنه.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الصلح (٣/ ١٦٧)، ورواه مسلم في الأقضية - رقم (١٧١٨).

(٢) رواه البخاري في الإيمان - باب من استبرأ لدينه (١/ ١٩)، ورواه مسلم في البيوع - رقم (١٥٩٩).

(٣) جامع العلوم والحكم - للإمام ابن رجب الحنبلي - ص/ ٥.

«وقـد نقل الإمام ابن رجب الحنبـلي عن الفضـيل بن عياض قـوله: (إن العمل إذا كـان خالصًـا ولـم يكن صوابًا لـم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خـالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا وصوابًا، والخـالص ما كان لله ـ عزَّ وجلَّ ـ، والصواب إذا كان على السنة)[١]» [٢].



(١) المرجع نفسه ـ ص/ ١٠.
(٢) منهج الإسـلام في تزكـيـة النفس ـ دكـتـور أنس أحمـد كـرزون (١/١٣٦/١٤١).

أساليب الشيطان في إضلال الإنسان

إذا كان الله تعالى قد أمرنا بعبادته، وخلقنا لتحقيق هذه الغاية، فإن الشيطان لن يترك أحدًا يهنأ بذلك، بل سيعكر عليه صفوه، وسيحاول جاهدًا إعاقة سيره إلى الله تعالى.

وذلك لأن العداء بين الإنسان والشيطان عداءٌ بعيد الجذور، يعود تاريخه إلى اليوم الذي شكل الله فيه آدم قبل أن ينفخ فيه الروح.

ففي صحيح مسلم عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لما صوَّر الله آدم في الجنة، تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يُطيف به، ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقًا لا يتماسك». فلما نفخ الله في آدم الروح، وأمر الملائكة، بالسجود لآدم، وكان إبليس يتعبد لله مع ملائكة السماء فشمله الأمر، ولكنه تكبر وأبى السجود لآدم

بدعوى: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ .

(سورة الأعراف: ١٣) .

وعلى إثـر ذلك طرده الله عـــزَّ وجلَّ من جنـة الخلد بسبب هذا الاستكبـار والاعتراض وعدم الامتـثال لأمر الله تعـالى، ولكنَّ اللـعين طلب من الله عـزَّ وجلَّ أن يؤخـره ويُبقي عليه حـيًّا إلى يوم القيامة ليـضل بني آدم ويكيد لهم فقـال تعالى: ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ (سورة الأعراف: ١٤-١٥) .

وقطع اللعين على نفسه العهد أن يبـذل قصارى جهده لإضلال ابن آدم: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (سورة الأعراف: ١٦-١٧) . لذلك فـقـد حـذرنا الله تعـالى مـن الشـيطان ومن اتبـاع خطواته، وذلك لأن فتنته شديدة لا يسلم منها إلا من وفقه الله تعالى.



قال الله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ (سورة القصص: ١٥).

فبين موسى الصفة الأساسية للشيطان وهي أنه عدو، فماذا يُنتظر يا أولو الألباب من العدو؟! أيُنتظر منه الحض على طاعة الله تعالى؟! أينتظر منه إيصال الخير لبني آدم؟! أينتظر منه أن يهديك إلى الصراط المستقيم؟!.

ثم بيَّن موسى بعد ذلك صفتين كاشفتين لهذه العداوة وهي: مضلٌّ مبين: أي أن عداوته واضحة غير خفية، بينة غير مستترة. ولذلك قال الله تعالى محذرًا عباده: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ (سورة فاطر: ٦). وقال: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ (سورة النساء: ١١٩). وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨)

إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٦٨-١٦٩).

ومع هذه المعركة القائمة بين بني آدم والشيطان إلى قيام الساعة، فلابد أن ننتبه إلى حبائل الشيطان ومكائده، وأساليبه في الإضلال، وإلا وقعنا أسرى في شراكه. إن الشيطان لا يأتي إلى الإنسان يقول له مثلاً: اترك هذه الأمور الخيرة، وافعل هذه الأمور السيئة، كي تشقى في دنياك وأخراك، لأنه لو فعل ذلك فلن يطيعه أحد، ولكنه يسلك سبلاً أخرى كثيرة يغرر بها عباد الله، وأهم هذه الأساليب.

[١] تزيين الباطل:

قال تعالى على لسان إبليس: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (سورة الحجر: ٣٩-٤٠).

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

﴿لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ﴾: أي أحبب إليهم المعاصي،

وأرغبهم فيها، وأأزهم إليها وأزعجهم إزعاجًا [١].

وقال القرطبي - رحمه الله -: وتزيينه هنا يكون بوجهين: إما بفعل المعاصي، وإما بشغلهم بزينة الدنيا عن فعل الطاعة [٢].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله -: أي أزين لهم الدنيا، وأدعوهم إلى إيثارها على الآخرة حتى يكونوا منقادين لكل معصية [٣].

قال الشنقيطي - رحمه الله -: ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أن إبليس أخبر أنه سيبذل جهده في إضلال بني آدم حتى يضل أكثرهم، وبين هذا المعنى في مواضع أخر كقوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (سورة الأعراف:١٦-١٧). وقوله: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (سورة النساء:١١٨). الآية،

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٥١).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٤) المجلد الخامس.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - ص (٣٨٥).

وقوله: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة الإسراء: ٦٢). وهذا ما قاله إبليس قبل أن يقع ظنًا منه أنه يتمكن من إضلال أكثر بني آدم، وقد بيَّن تعالى أنه صدَّق ظنه هذا لقوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة سبأ: ٢٠). وكل آية فيها ذكر إضلال إبليس لبني آدم، بيَّن فيها أن إبليس وجميع من تبعه كلهم في النار كما قال هنا: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة الحجر: ٤٣). الآية، وقال في الأعراف: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة الأعراف: ١٨). وقال في سورة بني إسرائيل: ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا﴾ (سورة الإسراء: ٦٣). وقال في ص: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة ص: ٨٤-٨٥)[١].

يقول ابن القيم في هذا الصدد: «ومن مكايده أنه

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ١٣٠-١٣١).

يسحر العقل دائمًا حتى يكيده، ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله، فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنَّه أنفع الأشياء، وينفر من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له، حتى يخيل له أنه يضره، فلا إله إلا الله، كم فتن بهذا السحر من إنسان! وكم حال به بين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان! وكم جلا الباطل وأبرزه في صورة مستحسنة، وشنع الحق وأخرجه في صورة مستهجنة! وكم بهرج من الزيوف على الناقدين. وكم روج من الزغل على العارفين! فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة والآراء المتشعبة، وسلك بهم من سبل الضلال كل مسلك وألقاهم من المهالك في مهلك بعد مهلك، وزين لهم عبادة الأصنام، وقطيعة الأرحام، ووأد البنات، ونكاح الأمهات، ووعدهم بالفوز بالجنات مع الكفر والفسوق والعصيان، وأبرز لهم الشرك في صورة التعظيم، والكفر بصفات الرب تعالى وعلوه وتكلمه بكتبه

في قالب التنزيه، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب التودد إلى الناس، وحسن الخلق معهم، والعمل بقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ (سورة المائدة: ١٠٥). والإعراض عما جاء به الرسول ﷺ في قالب التقليد، والاكتفاء بقول من هو أعلم منهم، والنفاق والإدهان في دين الله في قالب العقل المعيشي الذي يندرج به العبد بين الناس»[١].

(وبهذا السبيل كاد إبليس اللعين آدم - عليه السلام - إذ زين له الأكل من الشجرة التي حرمها الله عليه، فمازال به يزعم له أن هذه هي شجرة الخلد وأن الأكل منها يجعله خالدًا في الجنة أو ملكًا من الملائكة حتى أطاعه، فخرج من الجنة.

وانظر إلى أولياء الشيطان اليوم كيف يستخدمون هذا السبيل في إضلال العباد.

فهذه الدعوات إلى الشيوعية والاشتراكية... يزعمون

(١) إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان (١/ ١١٠)

أنها هي المذاهب التي تخلص البشرية من الحيرة والقلق والضياع والجوع. . . وهذه الدعوات التي تدعو إلى خروج المرأة كاسية عارية باسم الحرية، وتدعو إلى هذا التمثيل السخيف الذي تداس فيه الأعراض والأخلاق وتنتهك فيه الحرمات باسم الفن.

وتلك الأفكار المسمومة التي تدعو إلى إيداع المال في البنوك بالربا لتحقيق الأرباح باسم التنمية والربح الوفير، وتلك الدعوات التي تزعم أن التمسك بالدين رجعية وجمود وتأخر، والتي تسم دعاة الإسلام بالجنون والعمالة لدول الشرق والغرب. . . إلخ.

كل ذلك امتداد لسبيل الشيطان الذي كاد به آدم منذ عهد بعيد، وهو تزيين الباطل وتحسينه، وتقبيح الحق وتكريه الناس به، : ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ (سورة النحل: ٦٣).

وهو والله سبيل خطر لأن الإنسان إذا زُين له الباطل

حتى رآه حسنًا فإنه يندفع بكل قواه لتحقيق ما يراه حقًا وإن كان فيه هلاكه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (سورة الكهف: ١٠٣-١٠٤)) [١].

[٢] التثبيط عن العمل:

وله في ذلك أساليب وطرق كثيرة منها: ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم [٢] إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده كلها، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان».

وعند البخاري ومسلم أيضًا: «إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ، فليستنثر ثلاثًا، فإن الشيطان يبيت على

---

(١) عالم الجن والشياطين للدكتور عمر الأشقر - ص(٦١).
(٢) القافية: مؤخر الرأس.

خيشومه». وسئل الرسول ﷺ، عن رجل نام ليلة حتى أصبح، فقال: **«ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه»**[(١)]. ففي هذه الأحاديث محاولات من الشيطان لتكسيل وتثبيط الإنسان عن العمل الصالح.

فكم حاول جاهدًا ونجح في أن يُفَوِّت علينا صلاة الفجر! وكم حاول جاهدًا ونجح في أن يجعلنا من أنصار «سوف»! وكم حاول جاهدًا ونجح في أن يحبب إلينا الكسل والدعة والخلود إلى الراحة!

يقول الإمام ابن الجوزي - رحمه الله -:

«كم قد خطر على قلب يهودي ونصراني حب الإسلام، فلايزال إبليس يثبطه، ويقول: لا تعجل وتمهل في النظر، فيسوفه حتى يموت على كفره، وكذلك يسوف العاصي بالتوبة فيعجل له غرضه من الشهوات، ويمنيه الإنابة كما قال الشاعر:

---

(١) رواه البخاري.

لا تعجل الذنب لما تشتهي

وتأمل التوبة من قابل

وكم من عازم على الجد سوَّفه! وكم ساعٍ إلى مقام فضيلة ثبطه!

فلربما عزم الفقيه على إعادة درسه، فقال: استرح ساعة، أو انتبه العابد في الليل ليصلي، فقال له: عليك وقت، ولايزال يحبب الكسل، ويُسَوِّف العمل، ويسند الأمر إلى طول الأمل»[1]. فلذا ينبغي على كل مسلم ومسلمة الحذر من الشيطان، وليترك التسويف، وليعرض عن طول الأمل بل يسارع ويثابر، فإن العمر قصير.

[٣] إظهار النصح للإنسان:

وليس أدل على ذلك من قسمه لأبينا آدم ـ عليه السلام ـ على أنه ناصح له ولأمنا حواء، فقال تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (سورة الأعراف: ٢١).

فلنتدبر موقفه ـ لعنه الله تعالى ـ منذ وجد آدم

(١) تلبيس إبليس ـ ص (٤٥٨).

- عليه السلام - وحواء وهما ينعمان في الجنة، فحاول جاهدًا إخراجهما منها، لدرجة أنه أقسم أنه ناصح لهما لو أكلا من الشجرة، وسيكونان من الخالدين، حتى دلاهما بغرور وأكلا من الشجرة، وخرجا في النهاية من الجنة.

وكثيرًا ما يلبس لعنه الله لُبْس الناصحين المشفقين المخلصين، حتى يوقع الناس في شراكه.

وقد روى وهب بن منبه هذه القصة الطريفة على أهل الكتاب[1]. نسوقها لنعلم أسلوبًا من أساليب الشيطان في إضلاله العباد، وكي نحذر نصحه. ونخالفه فيما يدعونا إليه.

يقول وهب: «إن عابدًا كان في بني إسرائيل، وكان من أعبد أهل زمانه، وكان في زمانه ثلاثة أخوة لهم أخت، وكانت بكرًا ليس لهم أخت غيرها، فخرج البعث على ثلاثتهم، فلم يدروا عند من يخلفون أختهم، ولا من

(١) هذه القصة وأمثالها من الإسرائيليات لا تصدق ولا تكذب ويجوز التحديث بها يقول الرسول ﷺ : «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج».

يأمنون عليها، ولا عند من يضعونها، قال: فأجمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بني إسرائيل، وكان ثقة في أنفسهم، فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده، فتكون في كنفه وجواره إلى أن يرجعوا من غزاتهم، فأبى ذلك عليهم، وتعوذ بالله منهم ومن أختهم، قال: فلم يزالوا به حتى أطاعهم، فقال: أنزلوها في بيت حذاء صومعتي. قال: فأنزلوها في ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها، فمكثت في جوار ذلك العابد زمانًا ينزل إليها بالطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة، ثم يغلق بابه ويصعد إلى الصومعة، ثمَّ يأمرها فتخرج من بيتها، فتأخذ ما وضع لها من الطعام، قال: فتلطف له الشيطان، فلم يزل يرغبه في الخير، ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهارًا، ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها، فلو مشيتَ بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كان أعظم أجرًا.

قال فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها، ووضعه على باب بيتها ولم يكلمها، قال: فلبث على هذه الحالة زمانًا، ثُمَّ جاءَه إبليس فرغبه في الخير والأجر وحضه

عليه، وقال لو كنت تمشي إليها بطعامها حتى تضعه في بيتها كان أعظم لأجرك. فلم يزل به حتى مشى إليها بالطعام ثمَّ وضعه في بيتها، فلبث على ذلك زمانًا.

ثم جاءه إبليس فرغَبَّه في الخير وحضه عليه، فقال: لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك، فإنها قد استوحشت وحشة شديدة، فلم يزل به حتى حدثها زمانًا يطلع إليها من فوق صومعته.

ثم أتاه إبليس بعد ذلك، فقال: لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها، وتقعد هي على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها. فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها وتحدثه، وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها. فلبثا زمانًا يتحدثان.

ثمَّ جاءه إبليس فرغبَّه في الأجر والثواب فيما يصنع بها، وقال: لو خرجت من باب صومعتك ثمَّ جلست قريبًا من بيتها فحدثتها كان آنس لها. فلم يزل به حتى فعل.

فلبثا زمانًا على ذلك. ثم جاءه إبليس، فقال: لو دخلت البيت معها فحدثتها ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن بك، فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها نهارها كله، فإذا مضى النهار صعد صومعته.

ثمَّ أتاه إبليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبلها. فلم يزل به إبليس يحسنها في عينه ويسول له حتى وقع عليها، فأحبلها فولدت له غلامًا، فجاء إبليس فقال: أرأيت إن جاء أخوة الجارية وقد ولدت منك كيف تصنع؟ لا آمن عليك أن تفتضح أو يفضحوك، فاعمد إلى ابنها فاذبحه وادفنه فإنها ستكتم ذلك عليك مخافة اخوتها أن يَطَّلعوا على ما صنعت بها ففعل، فقال له: أتراها تكتم اخوتها ما صنعت وقتلت ابنها، خذها واذبحها وادفنها مع ابنها، فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها في الحفرة مع ابنها، وأطبق عليهما صخرة عظيمة وسوى عليهما، وصعد إلى صومعته يتعبد فيها، فمكث بذلك ما

شاء الله أن يمكث، حتى أقبل إخوتها من الغزو، فجاؤوا فسألوه عنها فنعاها لهم وترحم عليها وبكاها. وقال: كانت خير امرأة، وهذا قبرها، فانظروا إليه، فأتى إخوتها القبر. فبكوا أختهم وترحموا عليها فأقاموا على قبرها أيامًا، ثمَّ انصرفوا إلى أهاليهم. فلما جنَّ عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم، جاءَهم الشيطان في النوم على صورة رجل مسافر، فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم، فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها، وكيف أراهم موضع قبرها فأكذبه الشيطان. وقال: لم يصدقكم أمر أختكم إنه قد أحبل أختكم وولدت منه غلامًا فذبحه وذبحها معه فزعًا منكم، وألقاهما في حفيرة احتفرها خلف باب البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله، فانطلقوا فادخلوا البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله فإنكم ستجدونها كما أخبرتكم هناك جميعًا. وأتى الأوسط في منامه فقال مثل ذلك، ثمَّ أتى أصغرهم، فقال له مثل ذلك. فلما استيقظ القوم أصبحوا متعجبين مما رأى كل واحد منهم، فأقبل بعضهم على بعض

يقـول كل واحد منهم: لقـد رأيت الليلة عـجبًـا: فأخـبر بعضهم بعضًا بما رأى.

فقال كبيرهم: هذا حلم ليس بشيء فـامضـوا بنا ودعوا هذا عنكم، قال أصغرهم: والله لا أمضي حتى آتي إلى هذا المكان فأنظر فيه. قال: فانطلقـوا جميعًا حتى أتوا البيت الذي كانت فيه أختهم، ففتحوا الباب وبحثوا الموضع الذي وصف لهم في مـنامـهم فـوجـدوا أخـتـهم وابنهـا مذبوحين في الحـفيرة، كمـا قيل لهم، فسألوا عنهـا العابد فصدَّق قول إبليس فيما صنع بهـما. فاستَعْدُوا عليه ملكهم فأنزل من صومعته وقُدِّم ليـصلب، فلما أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطان، فـقال له: قد علمت أني أنا صـاحبك الذي فتنتك بالمرأة حتى أحبلتها وذبحتها وابنها، فإن أنت أطعتني اليوم، وكفرت بالله الذي خلقك وصوَّرك خلصتك مما أنت فيه. فكفر العابد، فلما كفر بالله تعالى، خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه[1].

فهذه الواقـعة خطيرة للغاية حيث تـبين لنا كيف ظهر

---

(١) تلبيس إبليس ـ ص(٣٩).

الشيطان لهذا العابد في صورة الناصح الذي يخاف عليه، وأخذ يسدي له النصيحة، ويمنيه بالنجاة من الموت حتى مات العابد كافرًا.

فإلى هذه الدرجة وصل الشيطان بالعابد الذي كان متفرغًا للعبادة فقط حتى أوقعه في الزنا والقتل ثم مات كافرًا، فكانت النهاية مرعبة ومخيفة، فهلَّا انتبهنا لمكائد الشيطان ووساوسه.

[٤] التدرج في الإضلال :

وهذا ظاهر جلي من القصة السابقة، فهو سار بالعابد خطوة خطوة، لا يكل ولا يملّ، كلما أوقعه في معصية واعتادها، قاده إلى معصية أخرى أكبر منها، حتى أوقعه في الزنا بالفتاة وأوبقه في النهاية وأهلكه. فالشيطان لا يأتي للإنسان مرة واحدة ليوقعه في الحرام، أو يقول له إن هذا حرام! بالطبع لا! ولكن يسير معه خطوة خطوة، فإن رأى منه استجابة وترخص واتباع الهوى، سهل علي

الانتقال معه إلى الخطوة التي تليها حتى يصل في النهاية إلى مبتغاة من الإنسان.

فالقضية إذن ليست في ارتكاب المنكر فحسب، وإنما فيما يتبع هذا المنكر مما هو أكبر منه.

[٥] دخوله إلى النفس من أحب الأبواب إليها:

يأتي الشيطان الإنسان وينظر ما يحب ويهوى فيدخل إليه من هذا الباب: فإن كان ممن يحب النساء حرَّك شهوته، وزين له النساء في عينه، وسهل له كل طريق لقضاء هذه الشهوة، بل ربما زين له الباطل حقًا، فيحسب الإنسان أنه يتأمل في جمال خلق الله تعالى ولا إثم عليه.

وإن كان ممن يحب اللهو المباح زاده محبة في ذلك، وحرصًا عليه، مادام مباحًا حتى يقع في المحظور. فإن كان يحب مشاهدة مباريات الكرة، حببها إليه أكثر وأكثر حتى يزيده حرصًا عليها، فلربما ترك صلاة الجماعة من أجل مباراة، وربما سهر طويلاً ليرى مباراة عالمية في جوف

الليل، فتضيع عليه صلاة الفجر، أو يغفل عن الوقت الذي ينزل فيه الله تعالى إلى سماء الدنيا، إلى غير ذلك من مكائده لعنه الله.

يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

«وهذا باب كيده الأعظم الذي يدخل منه على ابن آدم فإنه يجري منه مجرى الدم حتى يصادف نفسه ويخالطه ويسألها عما تحبه وتؤثره، فإذا عرفه استعان بها على العبد ودخل عليه من هذا الباب، وكذلك علَّم إخوانه وأولياءه من الإنس، وإذا أرادوا أغراضهم الفاسدة من بعضهم بعضًا أن يدخلوا عليهم من الباب الذي يحبونه ويهوونه، فإنه باب لا يخذل عن حاجته من دخل منه، ومن رام الدخول من غيره فالباب عليه مسدود، وهو عن طريق مقصده مصدود»[1].

وكذلك التمثيليات والأفلام في أجهزة التلفاز، يدخل

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١١٢).

الشيطان للكثير منها على أساس أن فيها العظة والعبرة والدرس، رغم ما فيها من محرمات كثيرة، فليحذر المسلم العاقل حتى لا يقع في شباك هذا اللعين وشِركه.

[٦] الاستعانة بشياطين الإنس:

(إن من الناس من تخالط بشاشةُ الإسلام قلبه فيقوى إيمانه ويعلو يقينه، ويخالط الإسلام لحمه ودمه، فلا يسير إلا على هديه، ولا يستضيئ إلا بنوره، ولا يقتدي إلا برسوله ﷺ، فهو ملتزم بالإسلام في كل صغيرة وكبيرة من أمور حياته، وهذا الصنف من الناس - وهم قليل - يأتيهم الشيطان بكل شاردة وواردة فلا يستطيع أن يغويهم، فبعد ما تعجزه الحيل معهم يستنجد بأوليائه من شياطين الإنس ليعاونوه في تلك المهمة. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ (سورة الأنعام: ١٢١).

فنجد الشاب إذا هداه الله للالتزام بالإسلام التزامًا كاملاً والسير على نهج خير الأنام ﷺ جاءته الفتن من

كل جانب تكشِّر عن أنيابها، فإذا استعصم بحبل الله وصبر وتغلَّب على شياطين الجن وانتصر عليها جاءه أصدقاء السوء وأتراب الفسوق يثبطون من عزيمته ويوهنون من قوته في الحق ويقولون له: «مالك قد حَرَمْتَ نفسك من متع الحياة فلم تعد تنظر إلى الفتيات الجميلات ولا تشاهد الأفلام والمسرحيات ولا تستمع إلى الفنانين والفنانات، وتركت الحفلات والسهرات، وتركت الربا في المعاملات وأصبحت تقول هذا حلال وهذا من المحرمات، إنَّا نراك قد ضَيَّعْتَ شبابك وفاتك كثير من اللذات..».

فقل لهم:

إنِّي أخافُ مِنَ الضَّلالِ وإنَّني
أمْشي على نَهْجِ الحبيبِ مُحمَّدِ
عَزَفتْ نَفْسي عن الدُّنيا وزِينتِها
ورَغِبْتُ فيما عندَ ربِّي الأمْجدِ
ورَغِبْتُ عن سُبُلِ الضَّلالةِ كلِّها
فأنا بغيرِ مُحمَّدٍ لا اقْتدِي

وأدعـوكَ إلى هذا الطريقِ فإنَّه

طريقُ المجدِ والهُدى والسُّؤْدُدِ

فربما لا يستجيب لك من أول وهلة، فَقُلْ له:

رأيتُ عَواقِبَ الدُّنيا

فَتركْتُ ما أهْوى لِمَا أخْشى

فكَّرتُ في الدُّنيا وعَالَمِها

فإذا جميعُ أمُورِها تَفْنى

ولقد مَرِرْتُ على القُبورِ فما

مَيَّزتُ بين العَبدِ والمَوْلى

فإن شعرت منه ليناً فزده:

مَنْ كانَ يَعْلَمُ أنَّ الموتَ مُدْرِكُهُ

والقبر مسكنه والبعثَ مَخْرجُه

وأنَّه بين جنَّاتٍ ستُبْهِجُه

يومَ القيامةِ أو نارٍ ستُنْضِجُه

فكلُّ شيءٍ سوى التَّقوى به سَمِجٌ

وما أقام عليه منهُ أسْمجُه

تَرى الذي اتَّخذَ الدُّنيا له وطَنًا
لم يَدْرِ أنَّ المَنايا سوف تُزْعِجُه

فإن وجدتَه أسيراً لغفلة فذكِّره بقولك:

نَهارُك يا مَغْرورُ سَهْوٌ وغَفْلَةٌ
وليلُك نومٌ والأمسُ لكَ لازمُ
تُسَرُّ بما يَفْنى وَتفْرحُ بالمُنَى
كما سُرَّ باللَّذاتِ في النومِ حالمُ
وشُغلُك فيما تَكْرهُ غِبَّهُ
كذلك في الدُّنيا تَعيشُ البَهائمُ

فإن وجدته مغروراً بفتوته وشبابه فقل له:

نعم أنتَ الشُّجاعُ لو كنتَ تَبْقى
غيرَ أنْ لا بَقاءَ للإنْسانِ
ليس فيما بَدا لنا منكَ عَيْبٌ
كان في الناسِ غيرَ أنَّك فانِ

ثم ذكِّرْهُ بقولك :

نسيرُ إلى الآجالِ في كلِّ ساعةٍ
وأيَّامُنا تُطْوَى وهنَّ مَراحِلُ
ولم نَرَ مِثْلَ الموتِ حقًا كأنَّه
إذا ما تَخطَّتْه الأمَاني بَاطلُ
تَرْحَلْ عن الدُّنيا بزَادٍ مِنَ التُّقى
فعُمُرُكَ أيَّامٌ تُعَدُّ قَلائلُ

ثم قل له ناصحًا:

يا خَادمَ الجسمِ كم تَشْقَى بخدمتِهِ
لِتَطْلُبَ الرِّبحَ ممَّا فيهِ خُسْرانُ
أقبلْ على النَّفْسِ واسْتَكْمِلْ فَضائِلَها
فأنتَ بالنفسِ لا بالجسمِ إنْسانُ

فإن قبل نصحك وعمل بقولك فالحمد لله، وإن أصرَّ على أن يأخذك معه في طريق الغواية والضلال فاحذره فإنه من شياطين الإنس.

قال مالك بن دينار: «إن شيطان الإنس أشدُّ عليَّ من شـيطان الجن، وذلك أنِّي إذا تعوذتُ بالله ذهب عني شيطان الجن، وشيطان الإنس يجيئني فيجرُّني إلى المعاصي عيانًا»[١].

فنعوذ بالله من شياطين الإنس والجن، ونسأله سبحانه أن يقينا شرَّهم ويكفينا مكرَهم)[٢].

---

(١) تفسير القرطبي (٧/ ٦٧).

(٢) وقاية الإنسان من الجن والشيطان ـ وحيد بالي ص(١٦٤-١٦٦)

عقوبات المعاصي



من أهم صفات البيت المسلم المستقيم على دين الله الملتزم بشريعة **الله**، أن يكون خاليًا من المنكرات والمعاصي، بل عنوانًا واضحًا جليًا لكل طاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ.

والمعاصي والمنكرات كلها شؤم وضررها بالغ على أهل البيت المسلم، والإصرار على فعلها إنما ينافي مقتضى الشهادتين، ومحبة **الله** تعالى ومحبة ما يحبه، لذلك كان البيت المسلم حريصًا على طلب مرضاة الله تعالى وسلوك طريق التقى بامتثال الأوامر واجتناب النواهي.

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله -: «فمما ينبغي أن يعلم أن الذنوب والمعاصي تضر ولابد وأن ضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلا سـ

الذنوب والمعاصي؟ .

■ فما الذي أخرج الأبوين من الجنة، دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور، إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟

■ وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده ولعنه، ومسخ ظاهره وباطنه فجعل صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع، وبدل بالقرب بعدًا، وبالرحمة لعنة، وبالجمال قبحًا، وبالجنة نارًا تلظى، وبالإيمان كفرًا، وبموالاة الولي الحميد أعظم عداوة ومشاقة، وبزجل التسبيح والتقديس والتهليل زجل الكفر والشرك والكذب والزور والفحش، وبلباس الإيمان لباس الكفر والفسوق والعصيان، فهان على الله غاية الهوان، وسقط من عينه غاية السقوط، وحل عليه غضب الرب تعالى فأهواه، ومقته أكبر المقت فأرداه. فصار قواد لكل فاسق ومجرم، رضى لنفسه بالقيادة بعد تلك العبادة والسيادة، فعياذًا بك اللهم من مخالفة أمرك وارتكاب نهيك.

■ وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رءوس الجبال! وما الذي سلط الريح على قوم عاد

حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمرت ما مرت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم، حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟.

■ وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم.

■ وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعًا، ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة غيرهم، ولإخوانهم أمثالها، وما هي من الظالمين ببعيد؟.

■ وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل، فلما صار فوق رءوسهم أمطر عليهم نارًا تلظى؟.

■ وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم، فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟

■ وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟.

■ وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرها تدميرًا؟.

■ وما الذي أهلك قوم صاحب يس بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم؟.

■ وما الذي بعث على بني إسرائيل قومًا أُولي بأس شديد، فجاسوا خلال الديار، وقتلوا الرجال، وسبوا الذرية والنساء، وأحرقوا الديار ونهبوا الأموال، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فأهلكوا ما قدروا عليه وتبروا ما علوا تتبيرًا؟.

■ وما الذي سلط عليهم أنواع العقوبات، مرة بالقتل والسلب وخراب البلاد، ومرة بجور الملوك، ومرة بمسخهم قردة وخنازير، وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالى: **﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾** [1]

(سورة الأعراف: ١٦٧).

وللمعاصي آثار قبيحة ومذمومة، تضر بالقلب والبدن

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ـ ص (٤١-٤٢)

في الدنيا والآخرة.

وقد ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله - هذه الآثار نذكرها مجملة فيما يلي:

[١] حرمان العلم، فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور.

[٢] حرمان الرزق، فكما أن تقوى الله مجلبة للرزق، فترك التقوى مجلبة للفقر.

[٣] وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله لا توازنها ولا تقارنها لذة أصلاً.

[٤] - الوحشة التي تحصل بينه وبين الناس، ولاسيما أهل الخير منهم حتى يُحرم بركة الانتفاع بهم. قال بعض السلف: إني لأعصى الله فأرى ذلك في خُلُق دابتي وامرأتي.

[٥] تعسير أموره عليه، فلا يتوجه لأمر إلا يجده مغـ.. دونه أو متعسرًا عليه.

[٦] ظلمة يجدها في قلبه، فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره. قال عبد الله بن عباس ﷺ: إن للحسنة ضياء في الوجه، ونورًا في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادًا في الوجه، وظلمة في القلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق وبغضة في قلوب الخلق.

[٧] المعاصي توهن القلب والبدن.

[٨] حرمان الطاعة.

[٩] تقصر العمر وتمحق بركته ولابد، فإن البر كما يزيد في العمر فالفجور يقصر العمر.

[١٠] ـ المعاصي تزرع أمثالها، ويولد بعضها بعضًا، حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج منها.

[١١] تضعف القلب عن إرادته، فتقوى إرادة المعصية وتضعف إرادة التوبة شيئًا فشيئًا.

[١٢] ينسلخ من القلب استقباحها فتصير له عادة.

[١٣] كل معصية من المعاصي فهي ميراث عن أمة من الأمم التي أهلكها الله عزَّ وجلَّ.

[١٤] المعصية سبب لهوان العبد على ربه وسقوطه من عينه.

[١٥] أن العبد لايزال يرتكب الذنب حتى يهون عليه ويصغر في قلبه، وذلك علامة الهلاك، فإن الذنب كلما صغر في عين العبد عظم عند الله.

وقد ذكر البخاري في صحيحه عن ابن مسعود قال: إن المؤمن يرى ذنوبه كأنها في أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه، فقال به هكذا فطار.

[١٦] أن غيره من الناس والدواب يعود عليه شؤم ذنبه، فيحترق هو وغيره بشؤم الذنب والظلم. قال عكرمة: دواب الأرض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون منعنا القطر بذنوب بني آدم.

[١٧] تورث الذل ولابد، فإن العز كل العز في طاعة الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (سورة فطر: ١٠).

قال عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب

وقد يورث الذل إدمانها

وتَرْكُ الذنوب حياة القلوب

وخيرٌ لنفسك عصيانها

وهل أفسد الدين إلا الملوك

وأحبار سوء ورهبانها؟

[١٨] تفسد العقل، فإن للعقل نورًا، والمعصية تطفئ نور العقل ولابد، وإذا طفئ نوره ضعف ونقص.

[١٩] إذا تكاثرت طُبع على قلب صاحبها، فكان من الغافلين. كما قال بعض السلف في قوله تعالى:

﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (سورة المطففين: ١٤). قال: هو الذنب بعد الذنب.

[٢٠] تُدخل العبد تحت لعنة رسول الله ﷺ، فإنه لعن على معاصي والتي غيرها أكبر منها فهي أولى بدخول فاعلها تحت اللعنة.

[٢١] حرمان دعوة رسول الله ﷺ ودعوة الملائكة للمؤمنين التائبين المتبعين لكتاب الله وسنة رسوله.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (سورة غافر: ٧-٩).

[٢٢] تُحدث في الأرض أنواعًا من الفساد في المياه والهواء والزروع والثمار والمساكن. قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ .

(سورة الروم: ٤١).

[٢٣] تُطفئ من القلب نار الغيرة التي هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن.

[١٤] ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب، وهو أصل كل خير، وذهابه ذهاب الخير أجمعه.

[٢٥] تضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله، وتضعف وقاره في قلب العبد ولابد، شاء أم أبى.

[٢٦] تستدعي نسيان الله لعبده، وتركه، وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه وهناك الهلاك الذي لا يرجى معه نجاة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا

تَعْمَلُونَ (١٨) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة الحشر: ١٨-١٩).

[٢٧] تخرج العبد من دائرة الإحسان وتمنعه ثواب المحسنين.

[٢٨] تضعف سير القلب إلى الله وإلى الآخرة، أو تعوِّقه وتوقفه وتقطعه عن السير، فلا تدعه يخطو إلى الله خطوة، هذا إن لم تَرُده عن وجهته إلى ورائه.

[٢٩] تزيل النعم وتحل النقم، فمازالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلت به نقمة إلا بذنب ولقد أحسن القائل:

إذا كنت في نعمة فارعها
فإن الذنوب تزيل النعم
وحُطْها بطاعة رب العباد
فرب العباد سريع النقم

[٣٠] ما يلقيه الله سبحانه من الرعب والخوف في قلب العاصي، فلا تراه إلا خائفًا مرعوبًا، فإن الطاعة حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين من عقوبة الدنيا والآخرة، ومن خرج عنه أحاطت به المخاوف من كل جانب.

[٣١] توقع الوحشة العظيمة في القلب، فيجد المذنب نفسه مستوحشًا وقد وقعت الوحشة بينه وبين ربه وبين الخلق وبين نفسه، وكلما كثرت الذنوب اشتدت الوحشة.

[٣٢] تصرف القلب عن صحته واستقامته إلى مرضه وانحرافه، فلايزال مريضًا معلولاً لا ينتفع بالأغذية التي بها حياته وصلاحه.

[٣٣] تعمي بصيرة القلب وتطمس نوره وتسد طريق العلم وتحجب مواد الهداية.

[٣٤] تصغر النفس وتقمعها، وتدسيها وتحقرها حتى

تكون أصغر من كل شيء، وأحقره، كما أن الطاعة تنميها وتزكيها وتكبرها. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ .

(سورة الشمس: ٩-١٠).

[٣٥] أن العاصي دائمًا في أسر شيطانه وسجن شهواته وقيود هواه.

[٣٦] سقط الجاه والمنزلة والكرامة عند الله وعند خلقه.

[٣٧] تسلب صاحبها أسماء المدح والشرف، وتكسوه أسماء الذم والصغر.

[٣٨] أنها تؤثر بالخاصة في نقصان العقل، فلا تجد عاقلَيْن أحدهما مطيع لله والآخر عاص إلا وعقل المطيع منهما أو فر وأكمل، وفكره أصح، ورأيه أسدُّ، والصواب قرينه.

[٣٩] توجب القطيعة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى، وإذا وقعت القطيعة انقطعت عنه أسباب الخير

واتصلت به أسباب الشر.

[٤٠] تمحق بركة العمر، وبركة الرزق، وبركة العلم، وبركة العمل، وبركة الطاعة.

[٤١] أنها تجعل صاحبها من السِّفلة بعد أن كان مهيئًا لأن يكون من العلية.

[٤٢] أنها تجرئ على العبد ما لم يكن يجترئ عليه من أصناف المخلوقات، فتجترئ عليه الشياطين بالأذى والإغواء والوسوسة والتخويف والتحزين وغير ذلك.

[٤٣] تعمي القلب، فإن لم تعمه أضعفت بصيرته ولابد، فإذا عمي القلب وضعف فاته من معرفة الهدى وقوته على تنفيذه في نفسه وفي غيره بحسب ضعف بصيرته وقوته.

[٤٤] تُنسي العبد نفسه، وإذا نسي نفسه أهملها وأفسدها وأهلكها.

[٤٥] تزيل النعم الحاضرة، وتقطع النعم الواصلة، فتزيل الحاصل، وتمنع الواصل.

[٤٦] تباعد عن العبـد وليه، وأنفع الخلق له وأنصحهم له، ومن سعـادته في قربه منه، وهو المَلَك الموكل به، وتدني منه عدوه، وأغش الخلق له، وأعظمهم ضررًا، وهو الشيطان.

[٤٧] تستجلب مواد هلاك العبد في دنياه وآخرته[1].



(١) انتهى باختصار وتصـرف من الجواب الكافي لابن القيم ـ رحمه الله ـ ص(٥٤:١١٦).

منكرات في بيوتنا

[١] جهاز التلفاز:

(أ) أقوال أهل العلم في حكم شرائه ومشاهدته:

أولاً - فتوى اللجنة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية:

الجلوس أمام التليفزيون جائز إن كان المسموع غير محرم كتلاوة القرآن والمحاضرات الدينية والنشرات التجارية والأخبار السياسية، وممنوع إن كان المسموع محرمًا كالأغنيات الخليعة والكلمات الماجنة وأصوات المغنيات ولو بأغنيات غير ماجنة، وأغاني الرجال الذين يتكسرون في غنائهم، أو يتخنثون فيها، وبالجملة فالجلوس للاستماع تابعان لحكم المسموع حلاً وحرمة، وقد يمنع ما كان جائزًا من السماع والجلوس من أجل الإفراط فيه وتضييعه لفراغ قد يكون الإنسان في أمس الحاجة إلى شغله بما يعود عليه

وعلى أسرته والأمة بالنفع العميم والخير الكثير. والأحوط في ذلك تركه لأنه قد يكون وسيلة إلى سماع ورؤية ما يحرم سماعه ورؤيته[١].

ثانيًا - **وفي فتوى أخرى لنفس اللجنة قالت:** الفيديو والراديو والتليفزيون ونحوها من أجهزة الإعلام، لا يقال لها في نفسها حلال ولا حرام لأنها آلات، وإنما الذي يحكم عليه استعمالها، فما استعمل منها في محرم محض أو في الغالب فهو محرم وإلا فهو حلال.

وعلى هذا إذا كنت لا تستعمل الفيديو إلا في الخير كما ذكرت فهو خير وإلا فهو شر[٢].

ثالثًا - **ويقول الشيخ عبد الله ناصح علوان - رحمه الله -:** ما دام التليفزيون اليوم يرمي في أكثر برامجه إلى إهدار الشرف، ويوجه نحو الفساد والإباحية، ويشجع على

---

(١) فتاوي إسلامية (٣/ ٣٢٢).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٣٦٦). وهي فتوى الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله، وغيره من علماء الأزهر الشريف.

السفور والاختلاط، فإن اقتناءه والاستماع إلى برامجه والنظر إلى مشاهده، يعد من أكبر الحرام وأعظم الإثم، **وإليكم الدليل على ذلك:**

[١] أجمع الفقهاء والأئمة المجتهدون في كل زمان ومكان أن مقاصد التشريع الإسلامي خمسة، حفظ الدين، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ النفس، وحفظ المال.

وقالوا: إن كل ما جاء في الشريعة من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وقواعد أصولية، تهدف إلى حفظ هذه الكليات الخمس، وباعتبار أن أكثر برامج التليفزيون الحالية من أغان ماجنة، وتمثيليات خليعة، ودعايات مثيرة، وأفلام فاسدة، تستهدف إهدار الشرف وضياع العرض وشيوع الزنا والفاحشة، فإنه يحرم النظر إليها والاستماع لها للحفاظ على النسب والعرض، وبالتالي يحرم اقتناء الجهاز باعتبار أنه وسيلة إلى النظر والسماع.

[٢] روى مالك وابن ماجة والدارقطني عن أبي

سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا ضرر ولا ضرار**»[1].

فهذا الحديث الشريف يُعَدّ قاعدة شرعية من أهم القواعد التي قعَّدها الفقهاء واستنبطها علماء الأصول، لأن عليها مدار الإسلام في أوامره ونواهيه، ولأنها تهدف إلى تحريم ما كل ما يضر بالفرد والمجتمع والأخلاق بلفظ بليغ موجز.

وباعتبار أن التليفزيون ـ في برامجه الحالية ـ يوجه إلى الميوعة والانحلال، ويثير في المجتمع كوامن الغريزة والشهوة، فإنه يحرم على المسلم أن يشتريه ويدخله بيته، حفاظًا على عقيدة الأسرة وأخلاقها، وقطعًا لدابر الأضرار التي تنجم عنه، وتطبيقًا لقاعدة «**لا ضرر ولا ضرار**».

[٣]من القواعد المقررة في الشريعة الإسلامية قاعدة «سد الذرائع»، ومعناها: تحريم المباح لكونه يؤدي إلى

---

(١)رواه مالك، وابن ماجة، والدارقطني وهو صحيح (صحيح الجامع الصغير برقم ٧٥١٧).

المحرم. فباعتبار أن النظر إلى برامجه الحالية يؤدي إلى الفساد والتحلل، صار اقتناؤه أو استعماله محرمًا لكونه يئول إلى أسوأ المفاسد وأحط الأخلاق.

[٤] إن أكثر البرامج الترفيهية التي تعرض على شاشة التليفزيون مصحوبة بالمعازف والغناء الخليع والمجون. وباعتبار أن الاستماع إلى الموسيقى والمعازف محرم كما سيأتي قريبًا، وباعتبار أن النظر إلى الراقصات والنساء المتبرجات بصفة خاصة يترتب عليه إثارة الغرائز، وهياج الشهوات كان اقتناؤه حرامًا، وبالتالي كان النظر لهذه البرامج محرمًا كذلك، لما لها من خطر في تقويض دعائم التربية والأخلاق.

هذا عدا ما للتليفزيون من **اضرار صحية:** كإضعافه البصر، وتعويد من هو مغرم به على السهر. **واضرار نفسية:** كتعلق بممثلة حسناء شغلت لبَّه وتفكيره. **واضرار تعليمية:** كإشغاله الطلاب عن واجباتهم المدرسية، وتكوينهم

الثقافي. **وأضرار فكرية**: كإضعافه الذاكرة وملكة التفكير والفهم والاستيعاب. **وأضرار مالية**: كإتلاف المال في شرائه، والأسرة بأمسِّ الحاجة إلى تأمين حاجاتها الضرورية. **وأضرار اجتماعية**: لما يترتب من الاجتماع عليه من علاقات مشبوهة، وحوادث خلقية، ومفاسد عائلية، يعاني منها من يقضي أكثر وقته في النظر إليه والسهر عليه[1].

رابعًا - يقول الشيخ عبد الله بن حميد الرئيس العام للإشراف الديني بالمسجد الحرام:

«والفتن التي تعرض على القلوب هي أسباب مرضها وهي فتنة الشهوات وفتن الشبهات، وفتن البغي والضلال، وفتن المعاصي والبدع، وفتن الظلم والجهل، فالأولى توجب فساد القصد والإرادة والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد. فالقلوب نوعان: قلب إذا عرضت عليه الفتنة أُشربها وأحبها ومال إليها، وقلب ينكرها ويبغضها ويحذر

(١) باختصار وتصرف من رسالة «حكم الإسلام في وسائل الإعلام لعبد الله ناصح علوان - رحمه الله -

منها، وذلك مَثَلُ ما يعرض على شاشة التليفزيون من الفتن المهلكة والمناظرة الضارة والمراقص والحفلات والتمثيليات وغيرها، قلب يألفها ويحبها ويدعو إليها، فهذا القلب قد اسود وماتت غيرته واستحكم مرضه، وقلب ينكرها وينفر منها ويحذر منها فذلك القلب الأبيض الذي أشرق بنور الإيمان. إلى أن قال: الشيء إذا أُشكل حكمه يُنظر في مفسدته وثمرته وغايته، فإن كانت مصلحته أرجح من مفسدته فالشرع لا يحرمه، بل تغتفر المفاسد الجزئية في جانب المصالح الكلية، وإن رجحت مفسدته على مصلحته بأن كانت مفسدته كلية، وإن اشتمل على مصالح جزئية فيستحيل على الشارع إباحته بل هو محرم قطعًا.

وقال أيضًا: ولاشك أنها ـ أي التليفزيون ـ آلة بلاء وشر وداعية إلى كل رذيلة ومجون، داعية إلى كل فساد وخراب للعائلات، مشغلة للوقت مذهبة له بغير فائدة، ربما أدت إلى ترك الواجبات من الصلاة وقيام بطاعة، هذا لو سلمت من الخلاعة والدعارة، وكيف وقد يُعرض على



شاشته مناظر داعرة لنساء خليعات ورجال أراذل، فيتحدثون بكلمات عشق ووصال وصد وهجران ممايدعو إلى الفجور وارتكاب الجريمة. . . **إلى أن قال:**

ألا فانتبهوا أيها المسلمون وناصحوا بعضكم بعضًا ممن امتهن أوامر الإسلام، ونبهوا من خرج على الآداب والاحتشام. وحاربوا هذا الداء الوبيل الذي يفتك ويهتك بالأعراض والأجسام، فلا تُعتبر نفوس ألفت الفاسد، فصارت عميًا لا ترى للحق نورًا، ولا تعرف للفضيلة جمالاً، ولا يظهر أمامها الحق جليًا ساطعًا نوره فتراه باطلاً مظلمًا، وتتجلى بين يديها الفضائل فتراها رذائل. . . إلى أن قال: وقد تستحسن بعض العقول هذه الآلة المسماة بالتليفزيون ظنًا منها أنها أداة تثقيف وتعليم، وأداة لنشر الفضائل، ولم تتنبه العقول لخطورتها وما يُعرض على شاشتها من الخلاعة والدعارة والمناظر الفاتنة والحفلات للبيوتات والمخربة للأسر، ولم تعرف قواعد الشريعة الصحيحة، بل كلما تجلى أمامها من زيف مآله إلى الظلمة

وكلمات معسولة بها السم الزعاف تلقته بالقبول والاستسلام ونسيت ما يعرض فيه من الشر والبلاء والفتنة»[١].

فصل : أمثلة من واقعنا تبين خطره وآثاره المدمرة:

[١] مقال في جريدة الجمهورية الصادرة يوم الأربعاء بتاريخ ٢٥/١٢/١٩٨٧ بعنوان «أطفالنا وما فعل بهم التليفزيون والفيديو» ويقول المقال: طفلة لم يتجاوز عمرها خمس سنوات ترقص رقصًا جنونيًا على نغمات الموسيقى المثيرة للأعصاب وتتمايل في رقصها تمايل المخمور الذي لعبت الخمر برأسه فأفقدته توازنه، ثم تضم أصابع كفها اليمنى ثم تقربها من فمها وكأنها تشرب من كأس، فإذا فرغت من الشرب، أتت بحركة توحي بأنها قد ألقت الكأس بعيدًا رامية به على الأرض، ومن ثمَّ تتخبط في رقصها وتتمايل حتى تكاد تقع أيضًا، ولما سئلت أين تعلمت ذلك؟ قالت: من التليفزيون، ومن برنامج العالم

(١) باختصار وتصرف من «الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتليفزيون» لمروان كجك.

يغني بالذات.

هذه الطفلة واسمها شيماء استيقظت من نومها بعد منتصف اليل فأيقظت أختها شيرين تلميذة بالمرحلة الإعدادية وقالت لها هامسة: أريد منك يا أختي أن تنتظريني حتى أعود وأن تفتحي لي الباب في هدوء حتى لا يستيقظ أحد في البيت، فأنا ذاهبة الآن إلى حديقة الميدان. ولما سألتها أختها عن سبب ذلك قالت: إنها اتفقت مع زميلها عمرو على اللقاء في الحديقة بعد منتصف الليل، وأنه الآن ينتظرها هناك. لقد قال لي أن أنزل من فراشي وأن أهبط على إحدى المواسير حتى أصل إلى الشارع دون أن يشعر بي أحد، ولكني خائفة من الهبوط على الماسورة وأخاف أن أقع، ولذلك فسوف أخرج من الباب وعليك أن تنتظريني حتى أعود.

وأيقظت الأخت والدها ووالدتها ونقلت لهما ما جرى. وفي صباح اليوم التالي ذهب الوالد إلى مدرسة الحضانة واستدعى الطالب عمرو ولاطفه حتى يعرف منه السبب فقال له أنه شاهد أحد أفلام الفيديو فرأى فيه فتى

يتـفق مع فتـاة على اللقـاء بعد منـتصف الليل في إحـدى الحـدائق بعيـدًا عن مراقـبة الأهل، وأنه أعـجب بالمغامـرة وأحبّ أن يمارسها بنفسه مع صديقتـه شيماء، وأنه خاطبها في الأمر فاقتنعت واتفقا على اللقاء بعيدًا عن مراقبة الأهل والمدرسين والمدرسات.

[٢] وفي جـريدة الأهرام بتـاريخ ٢٧/ ١٠/ ١٩٨٥ :

في بورسعيد أبلغ المستـشفى العام الدوائر الأمنية عن وجود سيدة في حالة سيـئة يشتبه في تناولها كميـة كبيرة من مادة مخدرة، وقـد أثار الحادث قلق المسئولين خـاصة بعد تكرار حوادث تخـدير الضحايا وسـرقة ما مـعهم من مصـوغات ذهبية، وأثبتت التحريات أن المجني عليـها تعمل مقرئة وقد استـقبلت بمنزلهـا يوم الحادث سيـدتين من دميـاط للاتفاق معها على إحـياء ليلة، واستغلتا عدم قـدرتها على الإبصار ووضعتا كمية كبيرة من المخدرات في كوب ليمون لشربه ثم استوليتا على ست غوايش ذهبية، وقد اعترفت المرأتان بعد

القبض عليهما بأنهما اتبعتا هذا الأسلوب بعد مشاهدتهما مسرحية ريا وسكينة.

[٣] وفي جريدة الأخبار بتاريخ ١٩/ ١٠/ ١٩٨٤ : وتحت عنوان (عربيان شاهدا الباطنية) تقول الصحفية: شاهد عربيان فيلم (الباطنية) في بلدهما فحضرا إلى مصر خصيصًا لزيارة الباطنية وشراء المخدرات منه، وبعد إلقاء القبض عليهما ومعهما ربع كيلو حشيش، قرر المتهمان أن لقطات الفيلم جذبتهما للحضور إلى مصر وزيارة هذا الحي لشراء المخدرات.

[٤] وجاء في صحيفة الأهرام بتاريخ ١٧/ ١١/ ١٩٨٤ : كان أمرًا غريبًا أن تتجاوز أرقام الغياب نصف تلاميذ المدرسة، وباتت الفصول الدراسية شبه خاوية نتيجة لغياب التلاميذ، وبعد تحريات المباحث تبين أن معظم التلاميذ يسلكون طريقًا واحدًا يؤدي إلى حظيرة مواشي يتوقفون أمامها قليلاً لترقب الطريق ثم يسرعون بعدها بالدخول في حذر حيث يقضون الساعات الطويلة بداخلها

إلى حين حلول موعد انصرافهم من المدرسة، ويعودون بعد ذلك إلى بيوتهم، وتبين بعد مفاجئة هذا المكان برجال المباحث أن تلاميذ المدرسة الهاربين قد جلسوا متراصين على مقاعد خشبية واستغرقوا في مشاهدة أحد أفلام الفيديو الجنسية المعروضة. وغير ذلك من الأمثلة التي تعج بها الصحف والمجلات يوميًا [١].

وأما عن حكم الفيديو، فالحكم متعلق بما يشاهد فيه، فإن كان درس علم وذكر أو ما ليس فيه محظور شرعًا فلابأس، وأما غير ذلك مما يغضب الله فلا يجوز قطعًا كما مر في الفتوى السابقة.

وعن الأضرار والمفاسد الناتجة عن مشاهدة هذه الأجهزة، يقول الشيخ محمد صالح المنجد:

عقائديًا:

- إظهار شعائر أهل الكفر ورموز أديانهم الباطلة،

---

(١) من أراد الاستزادة فعليه بكتاب مروان كجك (الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتليفزيون).

كالصليب، وبوذا، والمعابد المقدَّسة، وآلهة الحب والخير والشر، والظلام والنور والشفاء والمرض، وهكذا الأفلام التبشيرية الداعية إلى تعظيم دين النصارى والدخول فيه.

- الإيحاء بقدرة بعض الخلق على مضاهاة الله في الخلق والإحياء والإماتة، مثل بعض المشاهد المتضمنة لإحياء ميت باستخدام صليب أو عصا سحرية.
- نشر الدجل والخرافة والشعوذة والسحر، والعرافة والكهانة، والمنتفية للتوحيد.
- ما ينطبع في حسّ المتفرج من توقير ممثلي الأديان الباطلة، كالأب والقسيس، والراهبة التي تداوي المرضى وتفعل الخير!.
- في كثير من التمثيليات حلف بغير الله، وتلاعب بأسماء الله كما سمى أحدهم الآخر مرة عبد القيساح.
- التشكيك في قدرة الله أو خلقه، أو تصوير الحياة على أنها صراع بين الله والإنسان.
- القضاء على مفهوم البراءة من أعداء الله في نفوس

المشاهدين بما يرونه من أمور تبعث على الإعجاب بشخصيات الكفار ومجتمعاتهم، وكسر الحواجز النفسية بين المسلم والكافر، فإذا زال البغض في الله بدأ التشبّه والتلقي عن هؤلاء الكفرة.

اجتماعياً:

- الإعجاب بشخصيات الكفرة عند عرضهم أبطالاً في الأفلام.
- الدعوة إلى الجريمة، بعرض مشاهد العنف والقتل والخطف والاغتصاب.
- تكوين العصابات على النمط المعروف في الأفلام للاعتداء والإجرام، وإصلاحيات الأحداث والسجون شاهدة على آثار الأفلام في هذا المجال.
- تعليم فن السرقة والاحتيال والاختلاس والتزوير، وقبض الرشاوي وغيرها من الكبائر.
- الدعوة إلى تشبه النساء بالرجال، والرجال بالنساء، في مخالفة واضحة لحديثه ﷺ في لعن من فعل ذلك،

فهذا رجل يقلّد امـرأة في صوتها ومشيتـها، وقد يلبس الشعر المستـعار، والحلي ويضع الأصباغ وأدوات الزينة.
وتلك امـرأة تضع لحيـة أو شـاربًا مسـتـعارًا وتخـشن صـوتها، وهذا من أسـباب نشـر الميوعـة في المجتـمع وظهور الجنس الثالث.

- بدلا من النبي والصـحـابى والعـالم والمجـاهد، صـار القـدوة الممثل والمغني، والراقصة واللاعب.
- زوال الشعور بالمسئولية تجاه الأسرة، واللامبالاة بالطلبات المهمة والولد المريض لأن ربَّ الأسرة متسمّر أمام الجهاز وقـد يضـرب الولد ضربًا مـبـرحًـا إذا قطع على الأب خلوته بالفيلم.
- تمرّد الأبناء على الآباء بالمشـاهد التي تدعـو إلى ذلك، وعندمـا أصـرَّ أحـدهـم على قبـض ثمـن السـلعة من أبيه ذكَّره الأب بحقـه عليـه ، فقال الولـد في التمثيلية: أبي يعني تـسـرقني. والرسـول ﷺ يقـول : «أنت

ومالك لأبيك»[1].

- قطع الرَّحم بانشغال المشاهدين بالأفلام عن الزيارات العائلية، وإن زاروا فلا يتبادلون الأحاديث المفيدة، ولا يتداولون حلول المشكلات العائلية بقدر ما يتحلَّقون حول الشاشة صامتين.
- الانشغال عن إكرام الضيف.
- إشاعة الكسل والخمول، وتعطيل الإنتاج بما تستهلكه هذه الأجهزة من أوقات المسلمين.
- نشوء الخلافات الزوجية، والكره المتبادل، وظهور الغيرة المذمومة، فهذا رجل يتغزَّل بأوصاف امرأة على الشاشة أمام زوجته، وهي ترد عليه بذكر محاسن المذيع والممثل.
- ذهاب الغيرة المحمودة من استمراء النظر إلى مشاهد الاختلاط، وكشف الزوجة على الأجانب، وسفور

---

(١) رواه أبوداود رقم (٣٥٣٠) وصححه الألباني في إرواء الغليل (٣/ ٣٢٣)



البنات والأخوات، والتأثر بالدعوة إلى تحرير المرأة.

أخلاقيًا:

- إثارة الشهوات بعرض مناظر النساء للرجال، وأشكال الرجال الفاتنين للنساء.
- دعوة المجتمع إلى إظهار العورات بأنواع الملابس الفاضحة واعتياد الظهور بها.
- الدعوة إلى إقامة العلاقات بين الجنسين وتعليم المشاهد كيفية التعرف، وما هي الكلمات المتبادلة في البداية، ووسائل تطوير العلاقة المحرَّمة، وتبادل أحاديث الحب والغرام وتشابك الأيدي. . . إلخ.
- الوقوع في الزنا والفاحشة بفعل الأفلام التي تعرض ذلك، حتى أن بعضهم يقلِّد ما يحدث في الفيلم مع بعض محارمه والعياذ بالله، أو يمارس عادات سيئة أثناء عرض هذه الأفلام.
- تعليم النساء أنواع الرَّقص مما فيه إظهار للعورات وإغراء للرجال، وهذا من أنواع الميوعة والانحلال.

- اكتساب الشخصية الهـزلية، وانحسار الجدية، بالإضافة إلى الضـحك الـكثيـر المفسـد للقلـب بفـعل أفـلام «الكوميديا».
- شيوع الألفاظ الـبذيئة مما يستخدم في كـثير من الأفلام والتمثيليات.

تعبديـــاً:

- تضيـيع صلاة الفجر من جـراء السهر على مشـاهدة ما يعرض في الشاشة.
- التأخر عن أداء الصلوات في أوقاتها فضلاً عن أدائها في المساجـد للرجال بسبب تعلّق القلب بـالمسلسل أو الفيلم أو المباراة.
- التسبب في بُغض بعض الشـعائر التعبدية، كـما يحدث لبعضهم إذا قطعت المباراة المثيرة بتوقف لأداء الصلاة.
- إنقاص أجر بعض الصـائمين، أو إذهابه بالكلية بذنوب هذه المشاهدات المحرَمة.
- الطعن في بـعض مـا جـاءت به الشـريعـة من أحكام

كالحجاب وتعدد الزوجات.

تاريخياً:

- تشويه التاريخ الإسلامي، وطمس الحقائق، وإهمال ذكر منجزات المسلمين في الأفلام التي تحكى تاريخ البشرية.
- تحريف الحقائق التاريخية الثابتة، بإظهار الظالم على أنه مظلوم، وهكذا كالزعم بأن اليهود أصحاب قضية عادلة.
- التقليل من شأن أبطال الإسلام في أعين المشاهدين لبعض التمثيليات التي تمثل فيها أدوار الصحابة وقادة الفتح الإسلامي والعلماء، وتظهر فيها هذه الشخصيات بهيئة مبتذلة، والممثلون في الأصل فسقة وفجرة، وتختلط بالتمثيلية مشاهد غرامية.
- إيقاع المسلمين تحت وطأة الهزيمة النفسية، وإشاعة الرعب في قلوبهم، بما يعرض من أنواع الآلة الحربية المتقدمة لدى الكفار فيحسّ المسلم أنه لا يمكن هزيمة هؤلاء.

نفسيـــاً:

- اكتـساب الـعنف والطبع العدواني من مـشاهدة أفـلام العنف والمصارعة، ومشاهد الدماء والرصاص والأسلحة الحادة.
- إشاعة الخوف في نفوس مشاهدي أفلام الرعب حتى أن أحدهم ليهـب من نومه مذعورًا فزعًـا، وهو يصرخ مما رآه في نومه نتيجة مشهد علق في مخيلته.
- إفساد واقـعية الأطفال وغـيرهم بعرض المشاهد المـنافية للواقع، ولما جعله الله من النتائج المترتبة على الأسباب، ومن أمـثلة ذلك بعض مـا يعرض في أفـلام الكرتون، وهذه اللاواقعية تؤثر على التصرفات في الحياة العملية.

صحيـــاً:

- الإضرار بحاسة البصر، وهي نعمة سيسأل عنها العبد!.
- تسارع ضربات القلب، وارتفاع الضغط والتوتر العصبي ونحوه عند مشاهدة أفلام الرعب وسفك الدماء!

- السهر المضر براحة الجسد، الذي سيسأل العبد عنه يوم القيامة فيم أبلاه؟.
- ما يحدث من أضرار بأجساد الأطفال الذي يقلّدون السوبر مان والرجل الحديدي وغيرهما، والكبار الذي يقلدون الملاكمين والمصارعين.

ماليـاً :

- صرف المبالغ في شراء الأجهزة والأفلام وأجرة الإصلاح وأجهزة التحسين والاستقبال، وهذا المال سيسأل عنه العبد يوم القيامة فيم أنفقه؟!.
- مسارعة كثير من الناس إلى شراء كماليات لا يحتاجون إليها وتنافس النساء في شراء الأزياء من جراء ما يعرض في الشاشة من المشاهد والدعايات[1].



(١) أخطار تهدد البيوت.

شبهات والرد عليها (١)

مع وضوح الحكم الشرعي في اقتناء ومتابعة التلفاز وتوابعه بناءً على ما تقدم، فإن كثيرًا من الناس يهوون اصطناع التلبيس، ويتقنون تكلف الشبهات، ويبرعون في خداع أنفسهم ومَنْ يلوذون بهم ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (سورة الأنعام:١١٢). وقد أخبر النبي ﷺ عن قوم من أمته يستحلون الخمر يسمونها بغير اسمها(٢).

و«التلفازيُّون» لا يفتأون على نفس الدرب سائرين،

---

(١) الإجهاز على التلفاز - للشيخ محمد إسماعيل - ص (١٥١-١٨١).

(٢) وذلك فيما رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «ليستحلن طائفة من أمتي الخمر باسم يسمونها إياه»، وفي رواية «يسمونها بغير اسمها» أخرجه ابن ماجة (٣٣٨٥)، والإمام أحمد (٥/٣١٨)، وهو صحيح بشواهده كما بينه الألباني في «الصحيحة برقم (٩٠).

فلو أنهم اعترفوا بذنبهم، واعتذروا بضعف إرادتهم أمام داعية الهوى، لكان الخطب أخفَّ، لكنهم يسلكون شتى الحيل للتحرر من الشعور بالإثم، بما في ذلك افتراء الكذب على الله تعالى، على حد قول شارب خمرٍ يغلبه هواه:

واشربها وأزعمها حرامًا

وأرجو عفو رَبٍّ ذي امتنانِ

ويشربها ويزعمها حلالاً

وتلك على المسيء خطيئتانِ

ومع ذلك فسنتعرض لأكثر هذه الشبهات بالدحض والتفنيد ليحيا من حَيَّ عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة، والله وحده المستعان، وعليه التكلان.

الشبهة الأولى:

أن البعض قد يقول: لقد فصَّلتم في بيان سلبيات التلفاز وأعرضتم عن إيجابياته وما أكثرها!

والجواب: أن في ذكر محاسنه تحصيلَ حاصل لأن عامة الناس يدركون هذه الإيجابيات، ويضخمونها، ويدندنون

حولها وذلك مبلغهم من العلم، والقليل من ينظر في السلبيات أو يلتفت إليها، فالجهاز ليس في حاجة إلى زيادة تلميع، وهدفنا هو التحذير من مخاطره، وحماية المسلمين من شره، والقاعدة أن درء المضار مقدم على جلب المنافع.

وفي ذكر محاسنه ترجيحٌ لكِفة الهوى وطباع النفوس التي جُبِلت على الشهوة، وحب الدنيا، والطبيب الحاذق هو الذي يقابل العلة بما يضادُّها لا بما يَزيدها.

الشبهة الثانية:

قول بعضهم: إن شأن التلفاز شأن غيره من المخترعات الحديثة كالسيارة والطائرة، والآلات الكهربائية ونحوها، لها إيجابيات وسلبيات، ومع ذلك لا يُستغنى عنها.

والجواب: أن في التلفاز والفيديو إثمًا كبيرًا، ومنافع للناس: ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ (سورة البقرة: ٢١٩).

قال الأستاذ: «مروان كجك» - حفظه الله -:

(من المعلوم أن أكثر المخترعات الحديثة التي وضعت في خدمة الإنسان تشتمل أيضًا على بعض الآثار الضارة

بالنفس والبيئة كالسيارة مثلاً بما تطلقه من العوادم المؤثرة في الصحة، أو تلك الأدوات الكهربائية المنزلية لما تشكله من الآثار الضارة بسبب ما ينشأ عنها من الإشعاعات التي تؤثر في صحة الإنسان الجسدية والنفسية: ومع ذلك فإننا نجد أنه من الأمور المغايرة للعقل أن نقترح بالاستغناء عنها لما فيها من الفرائد الكثيرة التي إذا قيست بسلبياتها ظهر لنا أن فوائدها ومنافعها تفوق، إلى حد كبير مضارها، مما يبدو معها أن هذه المضار تكاد ألا تذكر أو يحسب لها حساب.

أما التلفاز - والفيديو أيضًا - على ما هو عليه من هيمنة جهات معينة لا تقيم للدين وزنًا، فتوجه الوجهة المعاكسة للتربية القويمة المتوازنة، فإنه بالتمحيص والدراسة المتأنية نجد بشكل يثير القلق - أن مضاره وآثامه أكبر من نفعه، مما يدعوه إلى اختيار الدعوة إلى الإحجام عن استعماله أو الركون إليه - ولو مؤقتًا - إلى أن تنحاز برامجه إلى جانب الحق، ويفسد خيرُه شرَّه، إذ ليس من العقل أو الإنصاف احتمال هذا الكم الهائل من الضرر في دين المرء

ودنياه مقابل تلك الفوائد الضحلة التي لا تكاد تبين أو تذكر أمام هذا الركام المدمر من البرامج السيئة القصد)[١].

وقال أيضًا في رد هذه الشبهة:

(وقد يكون لأية أداة تستعمل في المنزل احتمالات سيئة أثناء الاستخدام أو بغيره، فأنبوبة الغاز قد تنفجر، والتيار الكهربائي يحمل معه احتمالات «التماس» وإحداث الحريق، وسكين المطبخ قد يستعمله الطفل في أذى أخيه أو نفسه.. إلخ.. ومع ذلك فإن هذه الاحتمالات أو تلك لا تستدعي ألبتة الإحجام عن استعمالها واستخدامها في بيوتنا لأنها قضية احتمالية فهي محكومة بقدر الله، أما مسألة التليفزيون فإنها شيء آخر تمامًا، إذ لا نملك معه الدفاع عن أنفسنا وذواتنا أمام الشحنات التربوية التي تتغلغل في أعماقنا وأعماق أبنائنا، وهنا مكمن الخطر، ونذير الشر)[٢]. اهـ.

---

(١) الأسرة المسلمة ص (٢٥٦).
(٢) السابق ص(٢٤٨).

الشبهة الثالثة:

قول بعضهم: «أنتم تبالغون في ذم التلفاز والتحذير منه، مع أنه لا يعدو أن يكون جهاز تسلية وتثقيف».

والجواب: كما يؤكد علماء النفس ـ (أن ما لا يأخذه الإنسان مأخذ الجد هو الذي يؤثر فيه أبلغ الأثر، فالترفيه التليفزيوني ليس أمرًا ثانويًا يمكن التهوين من شأنه، بل إن للجهاز جاذبية وسحرًا، لأنه يتحرك ويأسر، ويخلب الألباب، ويتضافر فيه الشكل مع المضمون)[1].

إن هذا الجهاز ـ وإن بدا للبعض أنه ممتع ومُسَلٍّ ومفيد ـ إلا أنه في حقيقة الأمر يحمل في ثناياه معاول هدمٍ وتدمير للتحصينات الأخلاقية:

إن الأفاعي، وإن لانت ملامسها
عند التقلب في أنيابها العَطَبُ[2]

وإن أوضح دليل على ما ذكرنا هو تلك الأضرار

(١) بصمات على ولدي ص(١٥) بتصرف.
(٢) السابق ص (٧٤) بتصرف.



المحسوسة التي سبق بيانها أنها من ثمرات العكوف أمام هذا الشيطان المريد. (إن من الثابت لدى الباحثين أن الأضرار الناجمة عن التلفاز لا تظهر عقب التعرض للمشاهدة مباشرة، إذ لابد لها من فترة حضانة كالأمراض، ولا تأتي بقوة اندفاعية كاملة، لأن التأثير التليفزيوني يكون تراكميًا عدة، كالإناء الذي تتسرب إليه المياه قليلة بطيئة. فإذا ما امتلأ فاض، وأثار الانتباه)[1].

وقد بان لنا بوضوح أن التلفاز ليس مجرد جهاز كهربائي بل هو جهاز تربوي بالغ الخطورة[2]، إنه جهازٌ «صاحب رسالة» يربي الأجيال بمواصفات محددة سلفًا، والخطير في الأمر هو أنه لتربيته الهدامة ينسف أسس التربية السليمة.

* **الشبهة الرابعة:**

قول بعضهم: «إنني أقتنيه لمطالعة البرامج الدينية،

(١) الأسرة المسلمة ص (٩-١٠).
(٢) السابق ص (٩).

والقــرآن الكريم، والأذان، وســماع حــديث الشــيخ الشعراوي... إلخ.

والجواب: في قوله تــعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (سورة البقرة: ٩).

إن التلفــاز يعــاني ـ كـأوراق عـمـلتنا ـ من «ازدواج الشخصية»، فهو يبث قيمًا مـتنافرة متصادمة، فالجهاز الذي يذيع القرآن الكريم من باب «ذر الرمـاد في العيون» هو هو الذي يذيع الرقص والـغناء، والفسـاد المحلي والمسـتـورد بألوانه. وإن وجود البرامج الدينيـة يأتي تمشيًا مع نمط سائد في المجتمع، فكم من حفل ومهـرجان افتتح بقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ (سورة الفتح: ١).

يقول الأستاذ مروان كجك: (يعمل التـلفزيون بين حين وآخر على تجميد غضب المعارضين للبرامج فينقل عبر مـحطاته وقنواته ـ التي سـبق لهـا أن نقلت السم الزعـاف ومـبـيدات الأخـلاق والقـيم ـ نماذج من البـرامج الدينيـة والوطنية وربما الثـقافية، فـيسكت الغضب عند المغـضبين.

ويقـولون عند هذا: «له حسنات وله سيئـات»، غيـر أن الكثيرين ـ أو الأكثر ـ يتعامون عن أضراره ومفساده، وذلك لانتشـاره بين مخـتلف العائلات والطبـقات، واسـتعـباده لقلوبهم، فـقـد تـعـامى الناس عـمـا فـيـه من الأضـرار الاجتماعية والأخلاقية والدينية والصحية، فهم يتثاقلون عن استـماع ما يقوله الطب عن تـأثير الأشعة النووية بأجـسام الأطفال، خـاصة. . والكبـار، وإذا استـمعوها، وتـغافلوا عنهـا. وربما لم يصدقـوها لأن التلفزة قـد استـعبـدتهم، واستـحوذت عـلى قلوبهم، وفتنتـهم ببرامـجهـا الخليـعة الضارة، كـالتدخين يقول الطب والطبـيب والناس بضرره، ومع هذا فـهم مدمنون عـلى استـعمـاله. لا يسـتطيعـون الانفكاك عنه وهم يصطرخون فيه)[1] اهـ.

الشبهة الخامسة:

وهي قـول بعضـهم: «سأقتني هـذا الجهاز، وأهذبه، وأتحكم فـيـه، وأضـبط نـفـسي وأولادي من خـلال نظام

(١) الأسرة المسلمة ص (٢٧٢).

صارم، فلن أسمح بالمشاهد الماجنة، والمناظر الآثمة».

والجواب: فأين أنت من قول العليم الخبير بخفايا النفس البشرية: ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ (سورة النساء: ٢٨). ؟!

أين أنت من قول الصادق المصدوق ﷺ في شأن الفتن: «من تَشَرَّفَ لها تستشرفه»[١]؟!

قال بعض أشياخ الشام: «من أعطى أسباب الفتنة من نفسه أولاً، لم ينج آخرًا، ولو كان جاهدًا»[٢].

لقد أوضح الأستاذ «مروان كجك» خطوات الشيطان في استدراج الآباء نحو الوقوع في أسر العجل الفضي، فقال: (ولاريب أن التلفزيون ببرامجه الحالية عَمِلَ، ويعمل على تخدير أعصاب الآباء، إن لم نقل إنه جابههم في عقر ديارهم، وانتزع منهم السلطة الأبوية، وخاصة فيما يتعلق بالتوجيه.

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ٣٠) «فتح»، ومسلم، تشرف لها: تطلع لها وتصدي، وتعرض لها، ولا يعرض عنها، وتستشرقه: أي تهلكه، بأن يشرف منها على الهلاك.

(٢) «ذم الهوى» لابن الجوزي.

فرب العـائلة الأخلاقي أو المحافظ أو الإسـلامي يتردد بادئ ذي بدء في شـراء الجهـاز وفي اقتنائه، إلا أن ضـغط الزوجة ومن ورائها ضغط الأولاد يدفعه إلى الشراء شريطة التقيد بمواعيـد محددة لاستعماله موطِّنًا نفـسه عند اشترائه على اسـتخـدام نفوذه ليـحد من مـفاسـده، وإغلاقـه في اللحظات المناسبة والحاسمـة، بيد أنه بعد وقوعه في الفخ، وبعد جلوسه مع زوجته وفتيانه وفتياته تضعف إرادته، ثم تراخى. ثم تتخدر، ونراه ونرى عائلته يتسابقون في النظر والاستمـاع، وهم يتبعون الصور والحـركات، وينتقلون من برنامج إلى آخر، وإذا سألتـه بعد حين عن توجيه الأولاد، تأوه وأطلق زفـرات حـزنٍ، وتمتم: «لا حول ولا قـوة إلا بالله»[1]. اهـ.

وأما قول القائل: «سأتحكم فيه» فمن الذي يتحكم في الآخر، والحالُ أن المشاهد لا يملك إلا الاسـتقبال السلبي لما يُملَى عليـه؟ وإذا قلنا إن الوالدين سيـتحكمـان فيـما يراه

(١) الأسرة المسلمة ص (٢٧١).

الطفل، فماذا يمكن أن نقول إذا كانت الأخطار صادرة من القائمين على برامج الأطفال أنفسهم؟![1].

وأما قول القائل: «سوف أهذبه»، فجوابه: أن الفساد كامن في التلفاز ككمون النار في الحطب، والعنف في البندقية، والمكر في الذئب، ومن العناء معالجة الهرم، **ومن التعذيب تهذيب الذئب**:

إذا كان الطباع طباع ذئب

فلا أدبٌ يفيد ولا أديبُ [2]

ولا يتم التحكم في النفس إزاء هذا الجهاز إلا بكف البصر إذا رأى محرمًا، وسد الأذن إذا سمع موسيقى، وفحشًا، ولغوًا. وأنى يسلم الجهاز من ذلك؟! .

---

(١) انظر «طفلك ليس أنت» ص (٦٤).

(٢) هذا البيت أنشدته امرأة عربية كانت التقطت ذئبًا وليدًا، وأرضعته حتى نما، فعدا على طفل لها وافترسه، وروي أن راعيًا التقط ذئبًا وليدًا، فرباه مع شياهه، حتى صار كأنه واحد منها، فرجع الراعي يومًا فوجد الذئب قد عدا على شاة منها، فأنشد:

أكلت شُوَيْهَتي وَرَبيتَ فيها   فما أدراك أن أباك ذئبُ؟

وهناك رد الشيخ عبد الله ناصح علوان - رحمه الله - على نفس هذه الشبهة الواهية:

(إن هذا الإدِّعاء لا يمتُ إلى الواقع والتنفيذ بصلة أبدًا . لماذا؟ لأن البرامج الصالحة التي يدَّعونها، نسبتُها من باقي البرامج قليلة جدًا، لا تُشكِّل في المئة عشرة، ولأن الذي يقتني الجهاز التليفزيوني لابد أن يستقصى برامج الليلة من الألف إلى الياء، لأن الشيطان - أخزاه الله - واقف له بالمرصاد يوسوس له، ويوحي إليه أن المفيد النافع سيكون بعد هذه الدعاية، أو بعد هذا الخبر . إلى أن ينتهي الوقت المخصص للبرامج، وعلى فرض أنه ضبط الأمور، وأصبح عنده من قوة الشخصية والإرادة القوية ما يجعله يتحكم أثناء وجوده في اختيار البرامج المفيدة النافعة، ولكن هل يضمن أن تنضبط الأمور عند غيابه حين يكون الجهاز بين يدي أهله وأولاده؟ فحتمًا الجواب: «لا».

ثم متى يحكم على هذه البرامج بالفساد. حتمًا سيكون بعد المشاهدة، ومعنى هذا أن الأسرة شاهدة الفساد

المتخلل أثناء العرض دون تحفظ، وأن إبليس لعنه الله لعب دورًا كبيرًا في تحسين المنكر، وتزيين الباطل حتى ينتهي عرض البرامج كلها، وفي كثير من الأحيان يقف الأب الغيور من برامج التحلل والفساد موقفًا صارمًا، فيميل إلى الجهاز ليمنع عرض الفساد فيه، فتقع المنازعة والمشادة بينه وبين من يلوذ من أهل وولد... ولا ندري ماذا تترك هذه الخصومات من آثار سيئة، ونتائج وخيمة؟ وكم وقعت حوادث مؤسفة في الطلاق، وقطيعة الرحم، وفتن أليمة بين الزوجة والأولاد ورب الأسرة نتيجة هذه المشاحنات والمنازعات؟ فيتبين على ضوء ما ذكرناه أن التحكم الإرادي في اختيار المفيد النافع من البرامج التلفزيونية هو أمر يشبه المستحيل، بل من المتعذر تحقيقه في عالم الواقع، بل يعرِّض الأسرة إلى مشاحنات وأحقاد لا تحمد عقباها.

والمسلم الحقيقي يجب أن يحتاط لدينه وعرضه، وتربية أسرته وأولاده، ولا يتأتى ذلك إلا بإبعاد الخطر المحدق عن جو البيت والأسرة وأي خطر على العرض والشرف والأخلاق

أكبر وأعظم من البرامج التليفزيونية الحاضرة)[١] اهـ.

الشبهة السادسة:

قول بعضهم: «كل ما ذكرتموه يؤيده الواقع والتجربة، ولكن ماذا نفعل وقد فات الأوان، وأفلت الزمام، وتشبث الأولاد بالعجل الفضي حتى صار ليتعذر بل يتعسر استغناؤهم عنه، وانتشالهم من مستنقعه؟».

والجواب: ذكره الأستاذ عدنان با حارث في كتابه القيم «مسئولية الأب لمسلم في تربية الولد» ننقله هنا ـ على طوله ـ لما فيه من الفوائد التربوية، قال ـ حفظه الله ـ: (لاشك أن الأب الذي يقتنع بوجوب الاستغناء عن هذا الجهاز، وقد تعلق أولاده به، فإنه يواجه مشقة وعنتًا شديدًا، إذ قد تعود الأولاد على مشاهدة برامجه ساعات طول اليوم، ولكن عزاءه الوحيد استحضار قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾ (سورة التحريم:٦). وقال سبحانه وتعالى:

(١) حكم الإسلام في وسائل الإعلام ص (١٢-١٤).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

(سورة التغابن: ١٤-١٥).

فالأزواج والأولاد يمكن أن يكونوا وبالاً على الآباء، يدفعونهم بعواطفهم الجياشة نحو ارتكاب المعاصي، والمحرمات، ولهذا حذر الله من الانصياع لأهوائهم وشهواتهم، ويقول في ذلك عليه الصلاة والسلام: «**الولد محزنة مجبنة مجهلة مبخلة**»[1]، أي أن الذرية تسبب الحزن للأب لمرضها، أو موتها، وتسبب الجبن عن الإقدام والجهاد في سبيل الله، وتشغل عن العلم والإنفاق في وجوه الخير والبر، فهم فتنة للأب في الدنيا يختبره الله بهم، ويبتلي إيمانه ويقينه ليعرف مدى حبه له - عزَّ وجلَّ -، وهذه سنة الله في عباده المؤمنين يبتليهم ليختبرهم وليرفع منزلتهم،

---

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده». وصححه الألباني بنحوه في «صحيح الجامع» (٦/١١٨)، رقم (٧-٣٠٧)

وقصة نبي الله إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السلام من أبرز الأمثلة الواضحة في بيان سنة الله - عزَّ وجلَّ - مع عباده المؤمنين المطيعين لأمره، حيث أبرزت هذه القصة كيف أن الله ابتلاه، ورفع منزلته، ونجاه من أن يذبح ابنه بعد أن خلص قلبه لله، وثبت حبه وولاؤه لله وحده، وأعرض عن الشيطان ووساوسه التي يدخل بها على المؤمنين، فلابد للأب أن يتمثل هذه المواقف، ويقتدي.

ومن وساوس الشيطان ومكره أن يحذر الأب بأن في استغنائه عن التلفزيون، وإقصائه لهذا الجهاز دفعًا للأولاد إلى وسائل الإعلام الأخرى[1]، وربما جعلهم يتلصصون

(١) كالسينما وأماكن اللهو والفجور، وهي حجة داحضة. ولأن المنكر لا يزال بمنكر آخر يقوم مقامه، لأن المنكر الذي يترتب من اقتناء التلفاز هو أعظم من المنكر الذي يترتب على ارتياد هذه الأماكن، لأن مفاسد التلفاز يومية ومستمرة يراها الصغير والكبير، والصالح والطالح، والمرأة والرجل، أما مفاسد دور اللهو والفجور فهي موسمية ومؤقتة، وقاصرة على المنحرفين، أضف إلى هذا ما يمازج السهرات التليفزيونية من اختلاط وفتن، انظر: «تربية الأولاد في الإسلام (٢/ ٩٢٩).

لمشاهدته عند الجيران[1]. وهكذا حتى يثبطه عن عزيمته، ولكن لابد أن يعرف الأب أن نتائج البحث العلمي أثبتت أن وجود التلفزيون يثير الاهتمام بوسائل الإعلام الأخرى، كما أن عدم وجوده لا يثير هذا الاهتمام، فليس في عزله ضرر.

وربما دخل الشيطان على الأب من باب قيامه بتحذير الأولاد عند رؤية المناظر المخالفة للدين، وبيان حرمتها، وبذلك يكون قد أدى واجبه تجاههم، وقدم النصيحة المفروضة عليه، وهذا يمكن أن يفيد فائدة لا بأس بها إذا اقترن مع التحذير الإقلاعُ عن رؤية ذلك المنظر المخالف، وإغلاقُ الجهاز في الحال، وهذا الأسلوب ينصح به الأب كمرحلة وسط بين الانهماك مع هذا الجهاز، وإقصائه بالكلية، إذ «إن احتقار الوالد لأحد البرامج التلفزيونية ينقل

(١) وجواب ذلك أن التربية حينما تكون حكيمة وحازمة، فإن الأولاد يمتنعون عن الخلطة الفاسدة، ويكفون عن الخروج دون استئذان، بل يصونون أوقاتهم عن العبث واللهو والإثم.

هذا الاحتقار، بحيث يصبح موقفًا للابن من هذا البرنامج، إن الابن يتعالى بدوره عن مشاهدة أي شيء لا يرضى عنه والده».

أما تحذير الأولاد من المناظر المحرمة، ومنعهم من رؤيتها دون إقلاع الكبار عنها، بل يصاحب ذلك عكوفهم المستمر، وانسجامهم، وانهماكهم معها، فإن هذا السلوك المتناقض يسبب في نفس الولد ـ خاصة الصغير ـ خلخلة، إذ لا يفهم، ولا يستطيع أن يدرك كيف يُنهى هو عن هذه المشاهد، ويسمح لغيره، وإذا كانت هذه المناظر ضارة بالصغار، فكيف تكون نافعة للكبار؟، كما أن هذا الأسلوب الخاطئ يزيد من شوق الولد ورغبته في رؤية هذه البرامج التي مُنع منها حبًا للاستطلاع، ورغم الخطأ الواضح في هذا الأسلوب، إلا أنه يقع أحسن بكثير من أسلوب الأب الذي يبين للأولاد الفساد في بعض البرامج، والانحراف فيها، ثم يسمح لنفسه، ولأولاده بمشاهدتها، والعكوف عليها، وهذا الأسلوب الأخير من

أخبث الأساليب وأضلها، وأفتكها بشخصية الولد، إذ يتعلم جواز مخالفة القول للعمل، ومشروعية النفاق، فضلاً عن المخالفات الشرعية التي يشاهدها على الشاشة مع أهله ووالده.

وهذا من العمى الذي ابتلي به بعض الناس، لغلبة الشهوة على النفوس، وفي هذا يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ مبينًا مدى أثر حب الشيء على العقل والفكر: «حبك لشيء يصم ويعمي»[1].

والواجب على الأب إن كان قد تزوج حديثًا أن لا يكون التلفزيون من بين مستلزمات فرش المنزل، وذلك حفاظًا على نفسه، وأهله، وذريته المنتظرة، أما إن أُتِيَ به، أو أُدخِل عليه رغمًا عنه، فعليه أن يسارع بالتخلص منه

(١) رواه من حديث أبي الدرداء ﷺ: أبوداود رقم (٥١٣٠) بلفظ: «حُبُّكَ الشيءَ يُعْمي، ويُصِمُّ»، قال الحافظ في «أجوبته عن أحاديث المشكاة»: (وكذا أخرجه أحمد مرفوعًا وموقوفًا، والموقوف أشبه، قاله المنذري) اهـ. (٣/ ١٧٨٥)، والحديث في «ضعيف أبي داود» رقم (١٠٩٧).

قبل أن يكبر الأولاد، ويتعلقوا به، فيصعب حينئذ اتخاذ القرار الحاسم.

أما إن جاء قرار الأب بعزل هذا الجهاز متأخرًا، بحيث قد تعلق الأولاد به، وشُغفوا بحبه، فإن الحكمة مطلوبة في أسلوب إعلان قرار الإلغاء وتطبيقه، إذ إن الاستعجال في تنفيذه دون تهيئة الأولاد لذلك ربما سبب إزعاجًا لهم، وشعورًا بالحرمان، فهم لا يدركون كيف يُباح لهم الاستمتاع بالمشاهدة في الأمس القريب، ثم يُحرَّم عليهم اليوم؟ فالتغير الذي حدث في نفس الوالد تجاه التلفزيون لم يحدث في نفوس الأولاد بعد، لهذا فإنه لابد من التدرج.

وهذا النوع من القرارات العاجلة عادة لا ينجح إلا في الأسر المترابطة، ذات العلاقات العاطفية القوية، والصلة الأبوية المتينة، والحب العميق المتبادل بين الأب والأولاد، بحيث لا يستطيع الأولاد تحت الضغط العاطفي، والحب المتبادل عصيانَ أبيهم بل يسارعون بالاستجابة، ويتصبَّرون، ثم سرعان ما يتعودون على نمط الحياة الجديد، ويستقيمون

مع الفطرة، ومنهج الإسلام الصحيح، وذلك لأن الطفل سريع التأقلم والتغيير.

أما أسلوب التدرج الراجح في حل هذه المشكلة، فإن الأب هو أدرى الناس بتحديد مراحله الزمنية، وخطواته التطبيقية بانيًا ذلك على خبرته، ومعرفته بأولاده، ومدى تعلقهم بالتلفزيون، ولكن وقوفه على بعض المقترحات في هذا الجانب يمكن أن يفيده ويعينه في مهمته الصعبة.

وأول خطوة تُقترح ـ بعد اللجوء إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، وطلب العون منه ـ التقلل من مشاهدة التلفزيون بحيث لا يرى الولد أباه يشاهده إلا قليلاً، فإن كثرة أو ندرة مشاهدة الوالد للتلفزيون تؤثر على مدى مشاهدة الولد له، ويجعل الأب هذه الأوقات القليلة التي يخصصها لمشاهدة التلفزيون لصالح البرامج النافعة، كالندوات، أو الأفلام العلمية، أو النشرة الإخبارية، وغيرها من البرامج التي يقل فيها الفساد، ثم يعقب هذه الخطوة بإشغال الأولاد عند بث البرامج المفسدة ببعض النشاطات المشوقة، كالخروج

للنزهة، أو ممارسة نوع من الرياضة، أو الصعود إلى سطح المنزل لاستنشاق الهواء، أو أخذهم باستهواء إلى غرفة أخرى بعيدًا عن التلفزيون والتحدث إليهم وملاطفتهم ومداعبتهم، وهذه من أعظم أساليب استهواء الأطفال، إذ إن أسعد أوقاتهم، وأحبها إليهم تفرغ الأب لهم بعض الوقت، واستماعه لقصصهم، وما يروونه من أحداث، فلابد للأب أن يستغل هذا الميل عندهم[١].

ثم يعقب ذلك إظهار الأب شيئًا من التذمر، وعدم الرضا عن بعض البرامج التلفزيونية السيئة، والإعراض عنها، كأن يخرج من الغرفة مثلاً مشعرًا الأولاد بذلك، ويحول من وقت لآخر أن يعلق على الفقرات التلفزيونية السيئة بشيء من البيان خاصة برامج الكبار، بحيث يبين

(١) ويمكن للأب أيضًا أن يقص لهم ـ قبل النوم ـ قصصًا نافعة من سيرة السلف الصالح، وأحوال العلماء والمجاهدين، ثم يلقنهم الأدعية المأثورة عند النوم، فتغمض أجفانهم البريئة على ذكر الله سبحانه، لا على مشاهد العنف والقتل والفحش، وتختم أسماعهم بالمزامير الشيطانية المسممة لفطرتهم البريئة، وانظر: «بصمات على ولدي» ص(٨٣).

انحرافاتها ومخالفتها للدين، وعدم رضى الله عنها، وأنه لا يليق بالمسلم مشاهدتها، ثم يتخذ بعد ذلك القرارات الجماعية بإغلاق الجهاز عند بث البرامج التي لا تخص الأولاد، ويكتفي بما هو مخصص لهم. فإذا سلك الأولاد هذا المرتقى الصعب، وتعودوا مشاهدة ما يخصهم من البرامج فقط - كأفلام الكرتون. وبرنامج الأطفال، ما شابه ذلك دون الاهتمام ببرامج الكبار - فإن الأب بهذا الإنجاز يكون قد نجح نجاحًا كبيرًا، وحمى أولاده من الخطر الأكبر، والمشكلة الأعظم، ويعزز الأب نجاحه هذا بمدح الأولاد وتقديم الهدايا التشجيعية لهم.

ثم يبقى على الأب بعد ذلك تزهيدُ الأولاد في البرامج المخصصة لهم، وفي هذا شيء من الصعوبة:

أولا : لتعلق الأولاد بهذا النوع من البرامج.

وثانيًا : لصعوبة إقناعهم بفسادها.

وذلك لأن فسادها - كما تقدم - مدسوس خفي لا يلاحظه أكثر الكبار فضلاً عن الصغار.

وفي هذه الحالة؛ لابد من البدائل المشروعة[1]، إذ ليس من المنطق والعقل منع الأولاد من متعة تعلقوا بها دون إبدالهم بغيرها، والمقترح هو استخدام جهاز الفيديو المتصل بجهاز التلفزيون في عرض بعض أفلام الأطفال العلمية، وأفلام الكرتون التي تنتجها بعض الهيئات الإسلامية، على أن يكون ذلك العرض في نفس الوقت الذي تبث فيه أفلام الكرتون التلفزيونية المعتادة، وبذلك يكون الأب قد منع

---

(١) وذلك بتنمية المواهب المثمرة مثل: المطالعة النافعة، الرياضات النافعة، الألعاب التربوية الجماعية، الدراجات، . . . إلخ. وكذا الأشغال اليدوية كالنجارة، والفلاحة، والخياطة، والزخرفة. ومنها: إشراك البنات في إدراة المنزل وأعماله، والبنين في جلب الحاجات الخارجية. ومنها زيارة المتاحف العلمية والمكتبات العامة. ومنها: تدريبهم على التأمل في خلق الله من خلال زيارة حديقة الحيوان، والأحياء المائية، وحدائق الزهور، والحظائر المنزلية. ومنها: تبادل الزيارات مع أصدقائهم ممن يوافقونهم في الالتزام بالمنهج الإسلامي التربوي، ومن أنفع الوسائل في ذلك: إلحاقهم بمراكز تحفيظ القرآن الكريم، وأنشطة المساجد، والنوادي النظيفة إن وُجدت! وانظر: «بصمات على ولدي» ص(٨٢-٨٣).

أولاده من مشاهدتها، بأسلوب سهل، وأفاد الأولاد ببعض المعلومات الجيدة من خلال أفلام الكرتون الجديدة التي لا تتعارض مع مفاهيم الإسلام، بل تبثها وتنشرها، إلى جانب دعم هذه الهيئات الإسلامية المنتجة لهذه الأفلام، خاصة وأنها قليلة الانتشار، وضعيفة التموين.

وإذا لاحظ الأب على أولاده شيئًا من الملل لتغير طبيعة الأفلام والبرامج عليهم، أو لضعف الإخراج. وقلة المادة الإسلامية المنتجة: فإن استخدام ألعاب الكمبيوتر الهادفة يمكن أن تسد هذه الثغرة، فهي مشوقة، ومرنة، وسهلة الاستخدام، فبإمكان الأب تزويد أولاده ببعض برامج الكمبيوتر المتضمنة لبعض الألعاب التي تعتمد على التوافق بين حركة العين واليد، كسباق الحيوانات، أو معارك الدبابات والطائرات، أو التدريب على المرور بين الخطوط دون لمسها أو غير ذلك من الألعاب.

ولاشك أن الفائدة التربوية من هذا النوع من ألعاب الكمبيوتر قليلة، وربما تكون معدومة، ولكن الأب يستغلها

كخطـوة أولى تدريجيـة نحو اسـتخدام برامـج الكمبـيوتر التربوية والتـعليميـة الهادفة، كاسـتخدام برامج المسـابقات التاريخـية، والسيـرة النبوية، والمعلومات العـامة، وبرامج التدريب عـلى الحساب والرياضـيات، وبرامج تعليـم اللغة العربية، وغير ذلك من البرامج الهادفة التي تم إعدادها في أشرطة سهلة التناول ورخيصة الأسعار.

وبهذا الأسلـوب التربوي يكون الأب قـد حفظ أولاده من خطر التلفزيون بتزهيدهم في برامجه، وإعطائهم البديل النافع الذي يشـغـل وقت فـراغهـم، ويزودهم بمعلومـات جديدة مفـيدة، ويُعوضهم المعلومات الـتي يُظن فواتها من برامج التلفزيون العادية، ولا بأس حـينئذ بمصارحة الأولاد الكبار بحكم ما يُعرض على التلفزيون من البرامج الصالحة وغـيـرها، وتزويدهم بفـتـاوى العلمـاء فـي ذلك ليكمل يقينهم.

فلو قـرر الأب بعـد هذا المشـوار التـربوي الشـاق أن يستغني عن التلفزيون، ويقصـيه بالكلية من المنزل، فالمتوقـ

أن يكون قراره هذا جماعيًا يشاركه فيه الأولاد، ولو لم يتخذ الأب الإجراء اللازم لإخراج التلفزيون من البيت، فإن المتوقع أن الأولاد قد تحصنوا ضده، ولن يشاهدوا إلا النافع دون الضار ـ هذا إن شاهدوه ـ وهذا أبلغ في استقامتهم على المبدأ مستقبلاً.

ولن يضير الولد مشاهدة التلفزيون عند الجيران أو الأقارب، بل لن يهتم بذلك لزهده فيه أصلاً، فلو حدث شيء من الميل عند الولد نحو برنامج منحرف عُرِض على التلفزيون عند أحد الأقارب أثناء زيارة ما، فإن الأب ينبهه إذا وجد فرصة، وإلا عاتبه في البيت إذا رجع، وبين له الخطأ في هدوء دون شدة.

والمقترح للأب أن لا يزور الأقارب، أو الجيران، الذين لا يلتزمون بالأدب الإسلامي فيما يشاهدونه على التلفزيون في أوقات البث التلفزيوني، أو على الأقل في أوقات بث البرامج السيئة خاصة في فترة تدريب الأولاد على هجر التلفزيون، والزهد فيه.

ولابد أن يعرف الأب أن مسئوليته لا تنتهي بمجرد التوجيه والبيان، بل لابد من المتابعة، والصبر، والتلطف مع الصغار، فهذه هي سنة المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع الصبيان إذا أمر بأمر تابع الولد حتى ينفذه، يقول أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: «**كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقًا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني نبي الله ﷺ، قال: فخرجت حتى أمر على الصبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قابض بقفاي من ورائي، فنظرت إليه، وهو يضحك، فقال: يا أنس اذهب حيث أمرتك، قلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله** »[1].

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أهمية متابعة الصبي في تنفيذ الأوامر، حتى وإن أظهر الصبي ممانعة كما فعل أنس رضي الله عنه بقوله: «**والله لا أذهب**» ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يلتفت إلى ممانعته لصغر سنه، وكونه دون سن

(١) رواه أبوداود رقم (٤٧٧٣) وهو في «صحيح أبي داود» برقم .. (٣٩٩٤).

التكليف، بل لحقه حتى السوق، وأمره بأن يذهب حيث طلب منه، والأب يقتدي برسول الله ﷺ في الصبر على الأولاد، ومتابعتهم في تنفيذ الأوامر بشيء من الملاطفة والإحسان) [١] اهـ.

[٢] الموسيقى والغناء:

الأدلة من الكتاب والسنة لاشك قاضية بالتحريم وكذا أقوال السلف والخلف من الصحابة والتابعين وعلماء الأمة الثقات.

فمن الكتاب قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾(سورة الإسراء: ٦٤).

قال مجاهد من أئمة التفسير: عن ابن عباس رضي الله عنهما: صوت الشيطان والغناء والمزامير واللهو.

قال الضحاك: صوت الشيطان في هذه الآية هو صوت المزمار. وقال تعالى أيضًا: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي

---

(١)مسئولية الأب في تربية الولد في مرحلة الطفولة ص(٥٠١-٥٠٨).

لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (سورة لقمان: ٦).

قال مجاهد - وهو الذي قيل فيه: إن أتاك التفسير عن مجاهد فحسبك - قال: لهو الحديث: الاستماع إلى الغناء وإلى مثله من الباطل. وقال: حلف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: والله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات: إنه الغناء يعني لهو الحديث في هذه الآية. وقال تعالى أيضًا: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ (سورة النجم: ٥٩-٦١). قال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: السمود هو الغناء بلغة حِمْيَرَ وهي إحدى القبائل العربية، قال: يقال أسمدي يا فلانة، أي غني لنا.

وقال عكرمة في تفسير هذه الآية: كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ليصدوا الناس عن القرآن بالغناء فنزلت الآية.

ومن السنة الصحيحة ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**ليكونن من أمتي قوم يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف**» والمراد بالمعازف: آلات اللهو.

يقول الشيخ أبو بكر الجزائري - حفظه الله -:

«ودلالة هذا الحديث على تحريم الغناء دلالة قطعية، ولو لم يرد في المعازف حديث ولا آية سوى هذا الحديث لكان كافيًا في التحريم، خاصة في نوع الغناء الذي يعرفه الناس اليوم، هذا الغناء الذي مادته ألفاظ الفحش والبذاءة، وقوامه المعازف المختلفة من موسيقا وقيثارة وطبل ومزمار وعود وقانون، ومتمماته أو محسناته أصوات المخنثين ونغمات العاهرات»[1].

وذكر الألباني -رحمه الله- دلالة الحديث على تحريم آلات العزف والطرب من وجوه فقال:

﴿ **أ** ﴾ قوله «يستحلون» فإنه صريح بأن المذكورات ومنها المعازف هي في الشرع محرمة، فيستحلها أولئك القوم.

﴿ **ب** ﴾ قرن «المعازف» مع المقطوع حرمته: الزنا

---

(١) حكم الإسلام في الموسيقى والغناء: ص٢٧.

والخمر، ولو لم تكن محرمة ما قرنها معها إن شاء الله تعالى ثم قال ـ رحمه الله ـ: «ولا تغتر أيها القارى الكريم بما قد قد تسمع عن بعض المشهورين اليوم من المتفقهة من القول بإباحة آلات الطرب والموسيقى، فإنهم والله عن تقليد يفتون، ولهوى الناس اليوم ينصرون، إلى أن قال: فاحرص أيها المسلم على أن تعرف إسلامك من كتاب ربك وسنة نبيك ولا تقل، قال فلان، فإن الحق لا يعرف بالرجال، بل أعرف الحق تعرف الرجال، ورحمة الله على من قال:

العلم قال الله قال رسوله
قال الصحابة ليس بالتمويه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة
بين الرسول وبين رأي فقيه
كلا ولا جحد الصفات ونفيها
حذرًا من التمثيل والتشبيه»[1]

---

(١) السلسلة الصحيحة (١/ ١٤٤) باختصار.

وروى ابن أبي الدنيا عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ليكونن في هذه الأمة خسف وقذف ومسخ، وذلك إذا شربوا الخمور واتخذوا القينات وضربوا بالمعازف»[١].

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن الله حرم على أمتي الخمر والميسر والمزر والكوبة والغُبَيراء، وزادني صلاة الوتر»[٢].

قال الشيخ أبو بكر الجزائري: «فالكوبة الطبل الصغير، وقيل هو البريط وعلى كل حال فهو آلة من الطرب، ولاشك، وأما الغبيراء، فقد اختلف في معناها، فقيل: هي آلات الطرب كالعود، والطنبور أقرب»[٣].

وأما أقوال أهل العلم من السلف والخلف:

قال أبو بكر الصديق ﷺ: الغناء والعزف مزمار الشيطان.

---

(١) صحيح الجامع الصغير برقم (٥٤٦٧).

(٢) رواه الطبراني والبيهقي (صحيح الجامع ١٧٤٧)

(٣) رسالة الشيخ الجزائري ص(٢٨).

- **وقال عبد الله بن مسعود** ﷺ: الغناء ينبت النفاق في القلب.
- **وقال القاسم بن محمد**: الغناء باطل والباطل في النار.
- **وقال عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ**: الغناء بدؤه من الشيطان، وعاقبته سخط الرحمن.
- **وقال مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ**: الغناء إنما يفعله الفساق عندنا.
- **وقال الشافعي ـ رحمه الله ـ**: الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والمحال.
- **وقال أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ**: الغناء ينبت النفاق في القلب فلا يعجبني.
- **وقال أصحاب أبي حنيفة ـ رحمهم الله جميعاً ـ**: سماع الأغاني فسق والتلذذ بها كفر.
- **وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ**: الغناء ممنوع بالكتاب والسُنة.

■ **وقال ابن الصلاح رحمه الله -:** الغناء مع آلة، الإجماع على تحريمه.

■ **وقال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -:** [١]

«استماع الموسيقى والأغاني حرام، ولاشك في تحريمه. وقد جاء عن السلف من الصحابة والتابعين أن الغناء ينبت النفاق في القلب واستماع الغناء من لهو الحديث والركون إليه. ثم قال بعد ذكر الأدلة على التحريم: وعلى هذا فإنني أوجه النصيحة إلى إخواني المسلمين بالحذر من استماع الأغاني والموسيقى، وألا يغتروا بقول من قال من أهل العلم بإباحة المعازف لأن الأدلة على تحريمه واضحة وصريحة» [٢].

■ **ويقول الشيخ ابن باز رحمه الله -:** «الاستماع إلى الأغاني حرام ومنكر ومن أسباب مرض القلوب وفسوقها وصدها عن ذكر الله وعن الصلاة.

---

(١) عضو هيئة كبار العلماء بالسعودية والأستاذ المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٢) أسئلة مهمة ص(٢١).

■ **وقال أيضًا:** وهو من كبائر الذنوب، والمعازف تشمل الغناء وآلات اللهو كالموسيقى والكمان والعود والرباب وأشباه ذلك، وفي الباب آيات وأحاديث أخرى غير ما ذكرنا، ذكرها العلامة ابن القيم في كتابه (إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان).

وقال أيضًا: أما السماع دون قصد ولا إصغاء كسمع من يمشي في الطريق غناء آلات اللهو في الدكاكين أو ما يمر به من السيارات، ومن يأتيه وهو في بيته صوت الغناء من بيوت جيرانه دون أن يستهويه ذلك، فهذا مغلوب على أمره لا إثم عليه، وعليه أن ينصح وينهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، ويسعى في التخلص مما يمكنه أن ينصح منه وسعه، وفي حدود طاقته فإن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها»[١].

---

(١) فتاوى إسلامية (٣/ ٢٩٠).

[٣] التصوير: [١]

ذكر الشيخ الصابوني - حفظه الله - تحت عنوان «الأدلة القاطعة على تحريم التصوير» ثمانية نصوص:

منها ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ: «أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله».

وروى البخاري ومسلم وأصحاب السُنن أن النبي ﷺ قال: «إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم»، وروى البخاري ومسلم والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «كل مصور في النار، يُجعل له بكل صورة صورها نفس فيعذبه في جهنم». إلى أن قال: هذه النصوص وأمثالها كثير، تدل دلالة قاطعة على حرمة التصوير، وكل من درس الإسلام عَلِم عِلْم اليقين أن

---

(١) مستفاد من روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن للشيخ محمد علي الصابوني الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة (٢/ ٤٠٦).

النبي ﷺ حرم التصوير واقتناء الصور وبيعها، وكان يحطم ما يجده منها.

وقد ورد تشديد الوعيد على المصورين، واتفق أئمة المذاهب على تحريم التصوير، لم يخالف في ذلك أحد ثم ذكر - حفظه الله - ما يحرم من الصور والتماثيل فقال:
يحرم من الصور والتماثيل ما يأتي:

أولاً - التماثيل المجسمة، إذا كانت لذي روح من إنسان أو حيوان.

ثانيًا - الصور المصوَّرة باليد لذي روح.

ثالثًا - الصور إذا كانت كاملة الخلق بحيث لا ينقصها إلا نفخ الروح.

رابعًا - الصورة إذا كانت بارزة تشعر بالتعظيم، ومعلقة بحيث يراها الداخل.

وتحت عنوان ما يُباح من الصور والتماثيل قال - حفظه الله -:

﴿ أ ﴾ كل صورة أو تمثال لما ليس بذي روح كتصوير

الجمادات والأنهار والأشجار والمناظر الطبيعية التي ليست بذات روح.

﴿ ب ﴾ كل صورة ليست متصلة الهيئة كصورة اليد وحدها مثلاً أو العين أو القدم.

﴿ جـ ﴾ ويستثنى من التحريم (لِعَب البنات).

قال ابن باز - رحمه الله - بعد ما ساق أحاديث النهي عن التصوير:

«وهي عامة لأنواع التصوير، سواء كان للصورة ظل أم لا، وسواء كان التصوير في حائط أو ستر أو قميص أو مرآة أو قرطاس أو غير ذلك، لأن النبي ﷺ لم يفرق بين ما له ظل وغيره، ولا بين ما جُعل في ستر أو غيره، بل لعن الصور وأخبر أن المصور في النار، وأطلق في التصوير ذلك ولم يستثن شيئًا»[1].

ومما ينبغي التنبيه إليه أيضًا تطهير البيت من التصاليب

---

(١) رسالة حكم الإسلام في التصوير للشيخ ابن باز - رحمه الله -.

لأنها شعار النصارى، وقد نهينا عن التشبه باليهود والنصارى. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «لم يكن النبي ﷺ يترك في بيته شيئًا فيه تصاليب إلا نقضه»[١].

وللأسف نجد في كثير من البيوت الصليب إما في السجاد أو في الستائر أو في نقوش الحائط، لذلك فإنه يجب على المسلم أن يكون على حذر، وأن يدقق النظر في كل ما يشتريه من ثياب أو فراش أو سجاد أو غيرها.

[٤] المصافحة:

ونعني بها مصافحة المرأة للرجل الأجنبي عنها، ومصافحة الرجل للمرأة الأجنبية عنه، وهي محرمة شرعًا وهذه هي الأدلة:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا يملكها»[٢]. أي يملك نكاحها. وعن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ «كان لا يصافح

(١) فتح الباري (١٠/ ٣٨٥)، وأبوداود (٤/ ٧٢).
(٢) رواه البخاري.

النساء في البيعة»[١].

وعن أميمة بنت رُقيقة أن النبي ﷺ قال: «إني لا أصافح النساء، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة»[٢].

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لأن يُطعن في رأس أحدكم بمِخْيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»[٣]. وصح عنه ﷺ أنه قال: «لا أمس أيدي النساء»[٤].

وقال الشيخ ابن جبرين - حفظه الله : «لا يجوز للمرأة أن تصافح الأجانب منها غير المحارم، ولو كانت قد لبست القفاز وصافحت من وراء الكم أو العباءة فكله مصافحة ولو من وراء حائل». وهي نفس فتوى الشيخ عطية صقر رئيس لجنة الفتوى بالأزهر سابقًا.

(١) قال الهيثمي: إسناده حسن فيض القدير (٥/ ١٧٦).
(٢) السلسلة الصحيحة برقم (٥٢٩).
(٣) إسناده جيد الصحيحة برقم (٢٢٦).
(٤) صحيح الجامع برقم (٧٠٥٤) راجع رسالة أدلة تحريم مصافحة المرأة الأجنبية للشيخ محمد إسماعيل حفظه الله فإنها مهمة جدًا.



[٥] الاختلاط:

إن ما يحدث في أكثر البيوت اليوم من اختلاط النساء بالرجال، لاسيما مع تبرج النساء وعريهن وفساد أخلاق الشباب والرجال، لهو أمر جللٌ خطير يحتاج من كل ولي أمر مراجعته، حتى لا يترتب على ذلك ما لا يحمد عقباه من الوقوع في الحرام. فالنظرات الخائنة، والشهوات المستعرة، والعرى الفاضح، والعورات الظاهرة المثيرة وتجاذب أطراف الحديث والضحك والمزاح، كل ذلك سبيل وطريق للوقوع في حبائل الشيطان. يقول الشيخ محمد الصباغ: «وكذلك فإن الجلسات العائلية ـ كما يدعونها ـ التي يختلط فيها الرجال بالنساء وهن في أتم زينة، وقد ألقين الحجاب وأظهرن المفاتن بحجة أنهم أصدقاء، وقد يكون في هذه الجلسات تبادل الحديث المبتذل والمزاح الهابط والنكتة اللاذعة والتعريض بأمور خاصة، إن كل هذا مما لا يجيزه دين الله، وهو يعرض كيان الأسرة إلى الإنهيار ويبدل الود بين الزوجين إلى تنافر».

وقال أيضًا: «إن الاختلاط لا يحقق للمرأة أي احترام، لأن ما يبدو من الاهتمام بالمرأة في الجلسات المختلطة ليس في حقيقته إلا احتقارًا للمرأة وزراية بها، لأنهم ينظرون إليها على أنها متعة، ولو كانت عجوزًا لما اهتموا بها أبدًا»[١].

يقول الشيخ محمد المنجد تحت عنوان:

«الحذر من دخول الأقارب غير المحارم على المرأة في البيت عند غياب زوجها»[٢]:

«لا تخلو بعض البيوت من وجود أقارب للزوج من غير محارم زوجته، يعيشون معه في بيته لبعض الظروف الاجتماعية، كإخوانه مثلاً، ممن هو طالب أو أعزب، ويدخل هؤلاء البيت دون غرابة، لأنهم معروفون بين أهل الحي بقرابتهم لصاحب البيت، فهذا أخوه أو ابن أخيه، أو عم له، أو خال، وهذه السهولة في الدخول قد تولِّد

---

(١) تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية والاختلاط المستهتر.

(٢) أخطار تهدد البيوت.



مفاسد شرعية تُغضب الله إذا لم تضبط بالحدود الشرعية، والأصل في هذا حديثه ﷺ: «**إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله! أفرأيت الحمو، قال: الحمو الموت**»[1].

قال النووي ـ رحمه الله ـ: «المراد في الحديث أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه، لأنهم محارم للزوجة يجوز لهم الخلوة بها، ولا يوصفون بالموت، قال: وإنما المراد الأخ وابن الأخ والعم، وابن العم، وابن الأخت، وغيرهم ممن يحل لها التزوج به لو لم تكن متزوجة، وجرت العادة بالتساهل فيه، فيخلو الأخ بامرأة أخيه فشبهه بالموت، وهو أولى بالمنع من الأجنبي»[2].

وقوله الحمو الموت له عدة معان منها:

- أن الخلوة بالحمو قد تؤدي إلى هلاك الدين إن وقعت المعصية.

---

(١) رواه البخاري، فتح الباري: (٩/ ٣٣٠).
(٢) فتح الباري: (٩/ ٣٣١).

- أو تؤدي إلى الموت إن وقعت الفاحشة، ووجب حد الرَّجم.
- أو إلى هلاك المرأة بفراق زوجها لها إذا حملته الغيرة على تطليقها.
- أو المقصود احذروا الخلوة الأجنبية كما تحذرون الموت.
- أو أن الخلوة مكروهة كالموت.
- وقيل أي فليمت الحمو ولا يخلو بالأجنبية.

وكل هذا من حرص الشريعة على حفظ البيوت، ومنع معاول التخريب من الوصول إليها، فماذا تقول الآن بعد بيانه ﷺ، في هؤلاء الأزواج الذين يقولون لزوجاتهم: (إذا جاء أخي ولست موجود فأدخليه المجلس). أو تقول هي للضيف: ادخل المجلس وليس معه ولا معها أحد في البيت.

ونقول للذين يتذرعون بمسألة الثقة، ويقولون أنا أثق بزوجتي، وأنا أثق بأخي، وابن عمي، نقول: لا ترفعوا



ثقتكم ولا ترتابوا فيمن لا ريبة فيه، ولكن اعلموا أن حديثه ﷺ: «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما»[1]، يشمل أتقى الناس، وأفجر الناس، والشريعة لا تستثنى من مثل هذه النصوص أحدًا.

إضافة: الآن وفي أثناء كتابة هذه السطور وردت مشكلة، مفادها أن رجلاً تزَوَّج امرأة فأتى بها إلى بيت أهله، وعاشت سعيدة معه، ثم أصبح أخوه الأصغر يدخل عليها في غياب زوجها ويكلمها بأحاديث عاطفية وغرامية، فنشأ عن ذلك أمران:

الأول - كرهها لزوجها كرهًا شديدًا.

والثاني - تعلقها بأخيه، فلا هي تستطيع أن تطلق زوجها، ولا هي تستطيع أن تفعل ما تشاء مع الآخر، وهذا هو العذاب الأليم، وهذه القصة تمثل درجة من الفساد، وتحتها دركات تنتهى بعمل الفاحشة وأولاد الحرام.

---

(١) رواه الترمذي: (١١٧١) وصححه الألباني: صحيح سنن الترمذي (١/ ٣٤٢) برقم ٩٣٤.

نصيحة

يجب فصل النساء عن الرجال في الزيارات العائلية



الإنسان مدني بطبعه، واجتماعي بفطرته، والناس لابد لهم من أصدقاء، والأصدقاء لابد لهم من مزاورات. فإذا كانت الزيارة بين العوائل فلابد من سدٍّ منافذ الشر بعدم الاختلاط. ومن أدلة تحريم الاختلاط قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ (سورة الأحزاب: ٥٣). **وإذا تتبعنا الآثار السيئة للجلسات المختلطة في الزيارات العائلية فسنجد مفاسد كثيرة منها:**

[١] غالب النساء في مجالس الاختلاط حجابهن معدوم، أو مختل فتبدي المرأة الزينة التي نهاها الله عن إبدائها لغير من يحل لها أن تكشف عنده، في



قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ (سورة النور: ٣١).
ويحدث أن تتزين المرأة للأجانب في مجلس الاختلاط ما لا تتزين لزوجها مطلقًا.

[٢] رؤية الرجال للنساء في المجلس الواحد سبب لفساد الدين والخلق، والثوران المحرم للشهوات.

[٣] ما يحدث من التنازع والتقاطع الفظيع، عندما ينظر هذا إلى زوجة ذاك، أو يغمز هذا زوجة ذاك، أو يمازحها ويضاحكها والعكس. وبعد الرجوع إلى البيت تبدأ تصفية الحسابات.

الرجل: لماذا ضحكت من كلمة فلان، وليس في كلامه ما يضحك؟

المرأة: وأنت لماذا غمزت فلانة؟

الرجل: عندما يتكلم هو تفهمين كلامه بسرعة، وكلامي أنا لا تفهمينه على الإطلاق, وتتبادل الاتهامات وتنتهي المسألة بعدوات أو حالات طلاق.

[٤] يندب بعضهم أو بعضهن حظوظهم في الزواج عندما يقارن الرجل زوجته بزوجة صاحبه، أو تقارن المرأة زوجها بزوج صاحبتها، ويقول الرجل في نفسه: فلانة تناقش وتجيب.. ثقافتها واسعة، وامرأتي جاهلة، ما عندها ثقافة.. وتقول المرأة في نفسها: يا حظ فلانة زوجها أنيق ولبق، وزوجي ثقيل الظل يرمي الكلمة دون وزن، وهذا يفسد العلاقة الزوجية أو يؤدي إلى سوء العشرة.

[٥] تزين بعضهم لبعض بما ليس فيهم ادعاءً وكذبًا، فهذا يصدر الأوامر لزوجته بين الرجال، ويتظاهر بقوة شخصيته، وإذا خلا بها في البيت فهو قطٌّ وديع، وتلك تستعير ذهبًا تلبسه لترى الجلساء أنها تملك كذا وكذا، وقد قال ﷺ: «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبَيْ زور»[1].

[٦] ما ينتج عن شهود السهرات المختلطة من ضياع

(١) رواه البخاري الفتح: (٩/٣١٧).

للأوقـات وآفات لـلسان وترك الأولاد الصـغـار في البيوت (حتى لا تَفْسد السهرة بالصياح!).

[٧] وقـد تتطور الأمـور إلى اشـتمـال هذه السـهـرات المختلطة على أنواع عظيمة من الكبـائر، مثل: الخمر والميسـر، وخصـوصًا في أوساط مـا يسمى الطبـقة المخملية، ومن الكبائر التي تسـرى عبر هذه المجالس الاقتـداء بالكفار، والتـشبه بهـم في الزي والعادات المختلفـة، ورسول الله ﷺ يقول: «من تشبه بقوم فهو منهم»[١].

[٦] التدخين:

يقول الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: شرب الدخان محرم وكذلك بـيعه وشراؤه وتأجير المحلات لمـن يبيعه لأن ذلك من التعاون على الإِثم والعدوان[٢].

---

(١) رواه الإمـام أحمـد، المسند: (٣/ ٥٠) وهو في صـحيح الجـامع: (٢٨٢٨)، وكذلك (٦٠٢٥).

(٢) فتاوى المرأة.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ـ رحمه الله ـ:

أما الدخان: شربه والإتجار به والإعانة على ذلك فهو حرام لا يحل لمسلم تعاطيه شربًا واستعمالاً واتجارًا، وعلى كل من كان يتعاطاه أن يتوب إلى الله توبة نصوحًا.

وقد ذهب أهل العلم إلى تحريم تعاطيه لأنه من الخبائث، وأنه يوقع في الأمراض المهلكة كالسرطان والسل وغيرهما، وأن شربه تبذير وإسراف وتبديد لمال صاحبه، ولأنه يضر صاحبه ويتلف ماله ويؤذي جاره، وبه سم النيكوتين الذي يقتل شاربه ببطء[1].

قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (سورة الأعراف: ١٥٧). وقال تعالى أيضًا: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (سورة البقرة: ١٩٥).

وقال ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[2]. وقال أيضًا ﷺ:

(١) الإعلان ببيان أخطاء الشيخ القرضاوي في كتاب الحلال والحرام لصالح بن فوزان ـ حفظه الله ـ.

(٢) الحديث رواه ابن ماجة والدارقطني وصححه الألباني في الجامع الصغير (٧٥١٧) (٢/١٢٤٩).

«إن الله كره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وإضاعة المال وكثرة السؤال»[(١)] .

إلى غير ذلك من الأحاديث والآيات التي تدل دلالة قاطعة على تحريمه، والتي يغنينا عن سردها كلها:

فتوى الشيخ عبد الله المشد رئيس لجنة الفتوى بالأزهر عن السؤال الآتي:

هل تجارة الدخان والمعسل والسجائر حرام أم حلال مع العلم أنني أعيش منها وأسرتي منذ سنين طويلة؟

فأجاب بقوله: الذي قرره الفقهاء أن الحرام نوعان: حرام لذاته وعينه، وهو ما نطقت بحرمته الأدلة الشرعية القطعية، وحرام لغيره، وهو ما لم يرد بحرمته نص صريح قاطع ولكنه كان وسيلة إلى إتلاف النفس والمال وكلاهما مما أوجب الشارع الحرص على حمايته والمحافظة عليه، فلذلك يُعد كل منهما محرمًا لما يؤدي إليه من إتلاف النفس وإتلاف المال باعتبارهما من الكليات الخمس التي أوجب الله حمايتها والمحافظة عليها. وعليه أن يحاول

(١) جزء من حديث مسلم صحيح الجامع (١٢٣٦).

تغيير هذه التجارة إلى تجارة لا تدخل في باب المحرم.

وقد كتبت جريدة الأهرام في صفحتها الأولى تحت عنوان «الفرصة الأخيرة للإفلات من دائرة الموت بالتدخين» وربما تكون هذه فرصة أخيرة للإفلات من الدائرة الخبيثة لمادة التدخين السيئة، والفرصة تكتسب أهميتها من صدور صيحة إنذار جديدة تتناول بتفاصيل مروعة وبالأرقام ماذا يعني التدخين سواء للرجل أو المرأة وأيضًا لأطفال المستقبل. فهو أحد أسباب مرض السرطان الذي يودي بحياة ٣٤ ألفًا كل عام بخلاف ١٣ ألف يموتون بأمراض القلب وانسداد الأوعية في فرنسا، وأن التدخين مسئول عن وفاة أكثر من شخص كل أسبوع في فرنسا، ويتسبب في موت ١٠٪ من إجمالي عدد الوفيات كل عام، بالأضافة إلى سرطان الرئة وسرطان الثدي عند المرأة [1].

(١) جريدة الأهرام القاهرة بتاريخ ١٩/ ٤/ ١٩٩٠. وقد أصدر فضيلة الأستاذ الدكتور نصر فريد واصل مفتي الجمهورية السابق فتوى رسمية ومعتمدة منه شخصيًا بتحريم التدخين.

[٧] الخلوة بالمرأة الأجنبية:

وهذا منكر خطير يتساهل فيه أولياء الأمور حتى كان من نتائجه ما هو مسطور في المجلات والجرائد من الجرائم والزنا ونحوهما.

ومن مظاهر هذه الخلوة القاتلة: استقبال المرأة صديق زوجها، أو قريبه، أو قريبها والجلوس معهم ومؤانستهم في القول وممازحتهم وما إلى ذلك.

يقول الشيخ الصباغ: «إن هذه الخلوة محظورة ممنوعة شرعًا، ولا يجوز التساهل بها بحجة الثقة بالصديق والزوجة، وليست تحمد عواقبها، ولا يمكن أن يرضى بها إلا إنسان مريض القلب، فاقد الغيرة، عديم المروءة. ومثله أشد منه أن تسافر المرأة وحدها، أو مع السائق أو الخادم، وكذلك أن تذهب المرأة إلى الطبيب وحدها، وتتحقق خلوة محذورة.

وقال أيضًا: وكيف يرضى امرؤ يتقي الله ويخشاه بأن تخلو زوجته أو ابنته مع رجل أجنبي عنها؟! إن الإسلام

حظر الجريمة ومنع أسبابها المؤدية إليها، لأن من فرَّط في الأسباب وقع في الجريمة، ومن حام حول الحمى أوشك أن يرتع فيه»[١].

وقد نهى النبي ﷺ في الحديث الصحيح عن الخلوة بالمرأة الأجنبية فقال: «لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها محرم»[٢]، «ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان»[٣].

إن خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية مدرجة الهلاك، وداعية الإثم والفجور وكيف لا يكون ذلك والفرصة سانحة، وقد مهدت الخلوة للغريزة أن تستيقظ؟.

ولعل من أشد الصور المنكرة التي تحدث فيها الخلوة في مأمن من أهل البيت، هو جلوس الخطيب مع مخطوبته في خلوة، وهذا أمر محرم شرعًا ولاشك، وذلك لأن

(١) تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية والاختلاط المستهتر.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه الإمام أحمد والترمذي والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي عودة الحجاب (٣/ ٤٦).

الخطيب لم يصبح زوجًا بعد، حتى وإن كانت النية منعقدة على ذلك من الطرفين، فإنه لايزال أجنبيًا عنها، ولكنه الاستهتار والتساهل من أهل المخطوبة خاصة، بسبب دبلة الخطوبة المبتدعة، والتي يقطع بها الرجل جواز مرور أسري داخل البيت، يلهو ويمرح هنا وهنالك دون ضابط أو قيد، أو ضمن قيود وضوابط هلامية واهية، لا يقرها الشرع أبدًا.

[٨] تبرج النساء:

من المنكرات العظيمة جدًا والخطيرة هو تبرج النساء، وله في المجتمع آثار سيئة وبالغة الخطورة، ويشتد ذلك إذا كان التبرج في مساحة أضيق من المجتمع كالبيت، حيث يكون ظهور العورة أيسر وأسهل وما يترتب على ذلك من مفاسد أشد وأخطر. والتبرج ولاشك وهو إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال الأجانب الذين ليسوا من محارمها، محرم في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإجماع المسلمين:

[١] قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾(سورة الأحزاب: ٣٣).

[٢] وقال تعالى أيضًا: ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (سورة النور: ٣١). أي ما كان ظاهرًا لا يمكن إخفاؤه كالثياب الظاهرة والعباءة أو ظهر بدون قصد.

[٣] روى أبو هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[1].

وكلما قرأت هذا الحديث أتعجب من هؤلاء الرجال - بزعمهم - الذين لا يغارون على أعراضهم وشرف نسائهم، وليس في قلوبهم مثقال ذرة من حياء، عندما يسمحوا لبناتهم وزوجاتهم بالتبرج أمام الرجال الأجانب

(١) رواه مسلم في صحيحه.

عنهم سواء في البيوت أو في الطرقات.

تقول الدكتورة نعمت صدقي ـ رحمها الله ـ:

«فالتبرج يضر النساء والرجال في الدنيا والآخرة، ويزري بالمرأة ويدل على جهلها وهو حرام على الشابة والعجوز والجميلة وغيرها، فتبرج المرأة ضرره عظيم وخطره جسيم، لأنه يخرب الديار ويجلب الخزى والعار، ويدعو إلى الفتنة والدمار.

لقد اتبعت المرأة المتبرجة خطوات الشيطان، وخالفت أوامر السنة والقرآن، وتعدت حدود الله واجترأت على الفسق والعصيان»[١].

أخطر آثار التبرج السيئة:

[١] حلول الزنا والسفاح محل الزواج الشرعي.

[٢] فساد الأسرة وانهدام العائلة وتفشي الطلاق.

[٣] القضاء على النسل البشري والنوع الإنساني.

---

(١) رسالة التبرج.

[٤] الانهيار الخلقي الشامل بسبب هذه الأخطار والأمراض والمساوئ.

[٥] انتشار العادات السيئة كالاستمناء والزنا واللواط خصوصًا بين المراهقين[١].

كلمة خاصة إلى الرجال:

«إن معصية التبرج ليست معصية فردية، بل هي معصية جماعية تشترك فيها المتبرجة مع أولى أمرها الذين يسمحون لها بذلك ولا يمنعونها، ويشترك فيها أفراد المجتمع الذين لا يبالون بزجر المتبرجة وردها عن غَيِّها، لذلك فقد استحقت تلك المتبرجة اللعن والحرمان من الجنة، بل وحتى من شم رائحتها، واستحق ولي أمرها لقب الديوث، وهو الذي لا يبالي بفساد أهله، بالإضافة إلى أنه مسئول ومحاسب أمام الله تعالى على سوء تربيته، وعدم عنايته بصلاح وإصلاح زوجته أو ابنته أو ذوات محارم المتبرجات، ومشترك معهن في الوزر، لأن الرضا

(١) مستفاد من مسئولية المرأة المسلمة لعبد الله بن جار الله- حفظه الله-.



بالمعصية، معصية في حد ذاته.

فعن ابن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته. الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، فكلكم راع ومسئول عن رعيته»(١).

أين هذه الرعاية لأهلك أيها الرجل؟، إنني أراك قد ضيَّعت الأمانة التي وُكِّلت بحفظها، وكثرت حججك وأعذارك الواهية بأنك لا تستطيع أن تضغط على زوجتك (مثلاً) فتجبرها على الالتزام بالحجاب، أين القوامة يا رجل؟، أتحبها فتخشى عليها أن تغضب لو ألزمتها بأوامر الشرع، كذبت والله! لو صدق حبك لها لأمرتها بما فيه نجاتها من النار وغضب المنتقم الجبار!، ولكنك وقعت في حبائل الفتنة، فجرفتك معها في تيارها، وصدق رسول الله ﷺ القائل: «ما تركت بعدي فتنة أضر على

---

(١) متفق عليه.

الرجال من النساء»[1].

يا أيها الأب: هل فتحت المصحف يومًا وقرأت على بناتك وزوجتك وأخواتك هذه الآيات البينات التي تنطق بالحق وتأمر النساء المسلمات أن يلتزمن الحشمة ويرتدين الحجاب ويتحلين بالفضيلة؟ هل جلست معهن يومًا وبينت لهن لماذا فرض[2] الله على النساء الحجاب؟ هل قلت لهن ناصحًا ومذكرًا وواعظًا؟ يا نساءنا المؤمنات: إن الله سبحانه وتعالى أمركن بالحجاب الكامل والجلباب الساتر حتى لا تؤذين من قبل الفساق الفجرة بنظرات مريبة، وكلمات وقحة بذيئة، وإشارات سافلة دنيئة. هل قلت لهن؟ يا نساءنا الديّنات: إن الله سبحانه وتعالى أراد لكنّ الستر والحجاب حتى يسلم المجتمع من مظاهر الفساد والانحلال ومن موبقات الزنى والفحشاء.

هل قلت لهن؟ يا نساءنا المسلمات! إياكن أن تسمعن إلى دعاة الإباحية الذين يدعون أن السفور والاختلاط

(١) متفق عليه ـ المتبرجات للزهراء فاطمة بنت عبد الله.
(٢) في الأصل شرع.

تصعيد للغريزة، وتصريف نظيف لكوامن الشهوة، بل يجعل اجتماع النساء بالرجال والشباب بالشابات أمرًا مألوفًا وعاديًا!!)[1].

وتقول نعمت صدقي ـ رحمها الله ـ:

«فكم من ابنة منكودة شقية أضلها أبوها بضلاله وغذاها بفساده، فشبت لا تعرف الحياء ولا الدين، وكم من ابنة بائسة نُكبت بأب ضعيف الإرادة، استعبده هواه بزعم الإيمان بالله وكتابه، ويصلي ويصوم ويقرأ القرآن، ولكنه لا يعرف معروفًا ولا يستنكر منكرًا، إذ يعشق التبرج ويمقت الاحتشام ويسخر من الخمار، ويعتبره أصفادًا ثقيلة وقيودًا مضجرة بغيضة تحرم ابنته العزيزة حريتها ومتعتها بجمالها الفتَّان وشبابها الغض!! فأعجب لهذا الأب الحنون الذي يشفق على ابنته من الاختمار ولا يشفق عليها من غضب المنتقم الجبار.

---

(١) إلى كل أب غيور يؤمن بالله لعبد الله ناصح علوان ـ رحمه الله ـ.

فقل لي بربك أيها الأب الذي يزعم الإيمان بالقرآن، هل من التقوى والإيمان أن تفهم أمر الله بالاختمار والاحتشام، ثم لا تغضب لتبرج ابنتك أو زوجتك ولا تنهاهما عن العصيان؟ وهل من الحب والحنان ألا تبالي بتعرضهما لغضب الله وعقابه وألا تحاول انقاذهما من مخالب الشيطان؟»[1].

[٩] المجلات والصحف الهابطة:

لاشك في أن المجلات والصحف لها أثر كبير وخطير في تكوين عقلية الإنسان وشخصيته وسلوكه وعقيدته، ومن هذا المنطلق كان من الواجب ألا تدخل أي مجلات أو أي صحف إلى البيت المسلم، فكم من مجلة هدمت عقائد وسلوكيات، وكم من جريدة هتكت أخلاقًا وعورات.

(وقلما نجد صحيفة أو مجلة تعتني بالإصلاح والتوجيه، وتختص بقضايا العلم والخُلق، وتهتم بشئون البيت والأسرة، وتُولي عنايتها في تربية الفرد والمجتمع،

(١) التبرج باختصار وتصرف.

بل أصبحنا نسمع عن مجلات ليس لها من غاية سوى الدعوة إلى الإباحية الفاجرة، والوجودية الداعرة، والإلحادية الكافرة حتى ينزلق الشباب والشابات في متاهات الرذيلة، ويتخبطوا في أوحال الفاحشة، ويسقطوا في مهاوي الإلحاد)[1].

إذن فيجب على ولي أمر البيت ألا يُدخل أي مجلة داخل البيت وألا يسمح بدخول أي مجلة مع أولاده من أصدقائهم أو جيرانهم حتى يتأكد تمامًا أنها مجلة نافعة، إما من الناحية الدينية أو الدنيوية. ومما ابتليت به كثير من البيوت - حتى من الملتزمين إما جهلاً أو اتباعًا لهوى - مجلات عرض الأزياء (وهذه المجلات التي تعرض الأزياء يجب أن ينظر فيها فما كل زي يكون حلالاً.

قد يكون هذا الزي من ملابس الكفار التي يختصون بها، والتشبه بالكفار محرم لقول الرسول ﷺ: «من تشبه

(١) حكم الإسلام في وسائل الإعلام لعبد الله ناصح علوان - رحمه الله - (ص٣٢).

بقوم فهو منهم»[١].

فالذي أنصح به إخواننا المسلمين عامة ونساء المسلمين خاصة أن يتجنبن هذه الأزياء، لأن منها ما يكون تشبهًا بغير المسلمين، ومنها ما يكون مشتملاً على ظهور العورة، ثم إن تَطَّلع النساء إلى كل زي جديد يستلزم في الغالب أن تنتقل عاداتنا التي منبعها ديننا إلى عادات أخرى متلقاة من غير المسلمين)[٢].

وعن سؤال حكم من يسمح بدخول المجلات التي فيها صور ومقالات محرمة شرعًا إلى بيته وإلى أهله، أجابت دار الإفتاء بالسعودية: لا يجوز للمسلم أن يدخل إلى بيته من مجلات أو روايات فيها مقالات إلحادية أو مقالات تدعو إلى البدع والضلال أو تدعو إلى المجون والخلاعة فإنها مفسدة للعقيدة والأخلاق ، وكبير الأسرة مسئول عن أسرته لقول النبي ﷺ : «الرجل راع في بيته وهو

(١) رواه أحمد وأبوداود وإسناده حسن.
(٢) أسئلة مهمة لابن عثيمين ـ رحمه الله ـ (ص٢٤).

مسئول عن رعيته»[١].

[١٠] سفر المرأة بدون محرم:

يتساهل الكثير من الناس في ترك بناتهم وزوجاتهم يسافرن أي سفر بدون محرم ومما يحزن النفس أن هناك بعضًا من النساء والرجال الملتزمين يتهاونون في ذلك أيضًا، فهذا أخ مسلم يسافر لدولة عربية للعمل بعدما عقد على أخت مسلمة، ثم تسافر له بعد مدة بدون محرم!!، وإذا حملت وأرادت أن تلد، سافرت بمفردها أيضًا ولا حول ولا قوة إلا بالله، يتبعون في ذلك قول عالم بغير دليل، أو يقلدون غيرهم ابتاعًا للهوى أو تحت أي زعم باطل.

وهذا الأمر خطير ولاشك (فإن المرأة مظنة الشهوة والطمع، وهي لا تكاد تقي نفسها، لضعفها ونقصها، ولا يغار عليها مثل محارمها، الذين يرون أن النيل منها نيل من شرفهم وعرضهم، وسفرها بدون محرم يعرضها إلى الخلوة بالرجال ومحادثتهم، وقد يطمع فيها من في قلبه مرض،

---

(١) فتاوى إسلامية (٣/ ٣٣٨).

وربما سهل خداع المرأة، وربما يعتريها مرض، وإذا سلمت من كل هذا فلن تسلم من القيل والقال إذا سافرت بدون محرم يصونها ويرعاها. عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يخطب يقول: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم...**» الحديث[1].

وقال النووي - رحمه الله -: المرأة مظنة الطمع فيها ومظنة الشهوة ولو كبيرة، وقد قالوا: لكل ساقطة لاقطة، ويجتمع في الأسفار من سفهاء الناس وسقطتهم من لا يترفع عن الفاحشة بالعجوز وغيرها لغلبة شهوته، وقلة دينه ومروءته وحيائه)[2].

[١١] بدعة عيد الميلاد:

ليس في الإسلام إلا عيدان! عيد الفطر المبارك، وعيد الأضحى المبارك وماعداهما فليس من أعياد المسلمين، بل بدعة ليس لها أصل في الإسلام وأحيانًا تشبه بغير

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) عودة الحجاب (٣/ ٤٨).

المسلمين. وقد نهانا الإسلام عن هذين الأمرين: الابتداع في الدين، والتشبه بغير المسلمين.

ومن هذه الأعياد المبتدعة والتي فيها تشبه واضح بغير المسلمين، بدعة الاحتفال بعيد الميلاد، وهو (مرتبط بنفس العادات التي يقوم بها النصارى باحتفالاتهم: توقد الشموع بعدد السنين التي مرت على المحتفى بميلاده، إنه إتباع كامل لما شرع لنا النصارى أو اليهود في هذا المجال إنه تولٍ لهم وإتباع لتشريعهم)[1].

وقد (تقرر في الشرع أنه لا يجوز للمسلمين رجالاً ونساءً التشبه بالكفار سواءً في عبادتهم أو أعيادهم أو أزيائهم الخاصة بهم، وهذه قاعدة عظيمة في الشريعة الإسلامية خرج اليوم - مع الأسف - كثير من المسلمين جهلاً بدينهم أو تبعًا أو إنحرافًا مع عادات العصر الحاضر وتقاليد أوربا الكافرة، حتى كان ذلك من أسباب ذل المسلمين وضعفهم وسيطرة الأجانب عليهم واستعمارهم

(١) إليك أيتها الفتاة المسلمة لمنير محمد الغضبان (ص١٣٣).

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾

(سورة الرعد: ١١).

ومما ينبغي أن يعلم أن أدلة هذه القاعدة المهمة كثيرة في الكتاب والسنة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ .

(سورة الجاثية: ١٨).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «ليس منا من عمل بسنة غيرنا»[١] .

[١٢] حلق اللحية:

من المظاهر المنتشرة بين رجال المسلمين حلق لحاهم، وقد اتفق أكثر أهل العلم على حرمة حلقها ، **وهاكم الأدلة وأقوال أهل العلم:**

﴿ أ ﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

---

(١) رواه الطبراني وغيره وحسنه الألباني (صحيح الجامع ٢/١٠٢) أدلة تحريم حلق اللحية لمحمد إسماعيل (ص٢٧).

«جُزُّوا الشوارب وأرخوا اللحى وخالفوا المجوس»[(١)] .

وقد ورد هذا الأمر بألفاظ مختلفة عدها النووي رحمه الله فبلغت خمسة وهي قوله ﷺ : «أعفوا» ، «أوفوا» ، «أرخوا» ، «أرجوا» ، «وفروا» والأمر بهذا يفيد وجوب المأمور به بحيث يثاب فاعله ويعاقب تاركه، وليست هناك قرينة تصرفه إلى الندب، ومنه يعلم أن حلق اللحية مخالفة صريحة لأمر رسول الله ﷺ .

﴿ ب ﴾ تشبه بالكفار والدليل قوله ﷺ : «خالفوا المشركين: أحفوا الشوارب وأوفوا اللحى»[(٢)] .

﴿ جـ ﴾ تشبه بالنساء، والنبي ﷺ نهى عن ذلك فقال: «ليس منا من تشبه بالرجال من النساء، ولا من تشبه بالنساء من الرجال»[(٣)] .

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٣) رواه أحمد وصححه الألباني (حجاب المرأة المسلمة).

قال الشيخ المحدث زكريا الكاندهلوي:

اللحيـة هي المميزة بين الرجل والمرأة، إذ الشعور في غير هذه مشتركة بينه وبينها كشعور الرأس والإبط والعانة وغيرها. . . ولا يرتاب مرتاب في أن التشبه الكامل بالنساء يحصل بحلق اللحية[١].

وقال الألباني ـ رحمه الله ـ:

ولا يخفى أن في حلق الرجل لحيته ـ التي ميزه بها الله عن المرأة ـ أكبر تشبه بها[٢].

﴿ د ﴾ وقال الشيخ علي محفوظ ـ رحمه الله ـ وهو من علماء الأزهر الأجلاء: «ومن أقبح العادات ما اعتاده الناس اليوم من حلق اللحية وتوفير الشارب، وهذه بدعة سرت إلى المصريين من مخالطة الأجانب واستحسان عوائدهم، حتى استقبحوا محاسن دينهم وهجروا سنة نبيهم

---

(١) وجوب إعفاء اللحية للكاندهلوي.

(٢) آداب الزفاف في السنة المطهرة.

ﷺ . ونقل - رحمه الله - أقوال المذاهب الأربعة على تحريم حلقها»[1].

﴿ هـ ﴾ **ويقول الشيخ عبد الله ناصح علوان - رحمه الله -:**
«فتبين من هذه الأحاديث النبوية، والنصوص الفقهية أن حلق اللحية حرام، وأن المنصف المتحري للحقيقة لابد أن يقول بوجوب إرخائها لنصاعة الحجة، وقوة الدليل، وأقل ما يقال عن الحالق للحيته أنه مخنث أو متشبه بالنساء أو مغير لخلق الله، أو مقلد غيره تقليدًا أعمى. فواحدة من هاتيك الأمور تكفي في إيقاع المسلم في الإثم، فضلاً عن انطباق كل من الأوصاف عليه»[2].

﴿ و ﴾ **ويقول الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -:** «حلق اللحية حرام لأنه مشابهة للمشركين والمجوس، ولأنه إزالة للفطرة التي فطر الله الخلق عليها - فإن

(١) الإبداع في مضار الابتداع.
(٢) تربية الأولاد في الإسلام (٢/ ٩٠٠)

إعفاء اللحية من سنن الفطرة ـ ولأنه مخالف لهدى عباد الله الصالحين من النبيين والرسل وأتباعهم. وإنك لتعجب من قوم يستحلون حلقها مع علمهم بأنها من شعائر المسلمين وهدى المرسلين، وعلمهم بأمر النبي ﷺ بإعفائها ثم يستحلون حلقها مخالفين لذلك سبيل المؤمنين[1].

﴿ ز ﴾ ويقول الشيخ محمد متولي الشعراوي ـ رحمه الله ـ:

اللحية فرض والرسول ﷺ أمرنا بذلك فقال: «قصوا الشارب واعفوا اللحية» فالذي يزعم عكس ذلك نقول له إنه ثابت بالسنة.

وهناك فرق بين أن يكون الشيء ثابتًا بالسنة وأن يكون الشيء سنة، وسنية الحكم هي المباح والمكروه والمندوب وغيرها، وسنة الحكم إن تركته لا تعاقب عليه، إنما سنية الدليل قد يكون فرضًا لأن سنية الدليل هي دليل شرعي واجب.

---

(١) أسئلة مهمة باختصار (ص١٨).

فمثلاً حكم الصلوات الخمس لم يتعرض لها القرآن، فالمغرب نصليه ثلاث ركعات بالسنة لأنها دليل وهذا ثابت بالسنة «صلوا كما رأيتموني أصلي»، وأحكام الصلاة أوصى الله الرسول ﷺ أن يبين للناس أحكامها، كذلك يمكن أن تكون السنة إقرارًا أو صفة، فاللحية سنية دليل. فالرسول ﷺ التحى وأمرنا بذلك، وبذلك فهي ليست سنية حكم لا أعاقب على تركها وأثاب على فعلها - لا - بل تركها معصية. وأقول لبعض الناس ألا يتسرعوا ويقولوا إن اللحية ليست فرضًا فيرتكب إثمًا، ولكن فليقل إنها فرض ولا أقدر على إطلاقها، فيكون عاصيًا بدلاً من أن يكون كافرًا بالحكم»[1].

[١٣] الطاولة والكوتشينة ونحوهما:

(من اللهو المحرم اللعب بالنرد سواء كان اللعب على رهان أم كان لأجل التسلية البريئة: والدليل على الحرمة ما رواه مسلم وأحمد وأبوداود عن بريدة عن النبي ﷺ أنه

(١) نقلاً عن جريدة «الحقيقة» المصرية.

قال: «من لعب بالنردشير (طاولة الزهر) فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه». وروى أحمد وأبوداود وابن ماجة، ومالك في الموطأ عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله»[1])[2].

فأما عن الكوتشينة والشطرنج، فقد نص أهل العلم - رحمهم الله - (أن اللعب بهما حرام كما ذكر ذلك مشايخنا، وذلك لما فيهما من الإلهاء الكثير والصد عن ذكر الله سبحانه وتعالى، ولأنهما ربما يؤديان إلى العداوة والبغضاء بين اللاعبين)[3].

ويقول ابن باز - رحمه الله -: «لا تجوز هاتان اللعبتان وما أشبههما لكونهما من آلات اللهو ولما فيهما من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة وإضاعة الأوقات في غير حق، ولما تفضي إليه من الشحناء والعداوة، هذا إذا كانت هذه

(١) حسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٥٢٩)

(٢) تربية الأولاد في الإسلام (٢/ ٨٥٦).

(٣) أسئلة مهمة لابن عثيمين (ص١٨).

اللعبة ليس فيها عِوَض، أما إن كان فيها عوض مالي فإن التحريم يكون أشد لأنها بذلك تكون من أنواع القمار الذي لاشك في تحريمه ولا خلاف فيه»[١].

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «الميسر محرم بالنص والإجماع، ومنه اللعب بالنرد والشطرنج وما أشبهه مما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة ويوقع العداوة والبغضاء» [٢].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية سابقًا: «اللعب بالشطرنج هو وسائر أنواع الميسر لا يجوز مطلقًا، سواء كان على مال من اللاعبين أو من غيرها أو لم يكن على مال»[٣].

[١٤] اتخاذ أواني الذهب والفضة:

فاقتناؤها أو استعمالها حرام (لما روى مسلم في

---

(١) فتاوى إسلامية (٣/ ٣٧٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٢/٢١٦، ٣٤/١٩٢).

(٣) تحريم النرد والشطرنج والملاهي للآجري بتحقيق عمر غرامة العمروي.

صحيحه عن أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الذي يأكل أو يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم». وروى البخاري عن حذيفة قال: نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة، وأن نأكل فيها، ونهانا عن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه، وقال «هو لهم (أي الكفار) في الدنيا ولنا في الآخرة».

من هذه الأحاديث يتبين لنا أن اتخاذ أواني الذهب والفضة ومفارش الحرير الخالص حرام في بيت المسلم، ويأثم من يفعله، وهذا التحريم شامل للرجال والنساء جميعًا، والحكمة في هذا تطهير البيت المسلم من مواد الترف المذموم ومظاهر الكبرياء الممقوتة)[1].

[١٥] تختم الرجال بالذهب ولبسهم الحرير:

لما روى أحمد وأبوداود والنسائي وابن ماجة عن علي كرم الله وجهه قال: أخذ النبي ﷺ حريرًا فجعله في يمينه، وأخذ ذهبًا فجعله في شماله ثم قال: «إن هذين حرام

---

(١) تربية الأولاد (٢/ ٩٠٠).

على ذكور أمتي» وزاد ابن ماجة: «حل لإناثهم»[1].

وروى مسلم أن رسول الله ﷺ رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل فنزعه وطرحه، وقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده» فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به. قال: لا والله لا آخذه وقد طرحه رسول الله ﷺ. وروى مسلم عن عليّ كرم الله وجهه قال: «نهاني رسول الله ﷺ عن التختم بالذهب».

(والمقصود بحرمة الحرير، الحرير الخالص الأصلي المستخرج من دودة القز، أما الحرير الصناعي فلا يحرم لبسه ولا استعماله، ويستثنى من حرمة الحرير الأصلي ما ركبّ من حرير وغيره إن استويا في الوزن، وكذا التطريز والخياطة والترقيع والحشو ما لم يبلغ كل من ذلك وزن الثوب. ويجوز استعمال الحرير الأصلي الخالص في حالة

---

(١) صحيح: سنن ابن ماجة للألباني رحمه الله (٢/ ٨٢)برقم (٢٨٩٦، ٢٨٩٨).

الضرورة كدفع جَرَب أو حَكَّة أو اتقاء حر أو برد مُهْلكين أو ستر عورة إن لم يجد ساترًا غيره. أما التختم بالفضة فيجوز، بل يسنُّ ما لم يبلغ حد الإسراف)[1].

[١٦] قضاء الأجازات فيما لا يرضى الله تعالى:

كالذهاب إلى المسارح ودور السينما وشواطئ البحار ولا يخفى ما في ذلك من الاختلاط المحرم وظهور العورات، وإثارة الغرائز والشهوات وما يتبع ذلك من المنكرات، وكله محرم ولاشك.

وقد سألت الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي قاضي المحاكم الشرعية بدولة قطر عن حكم السفر إلى البلاد الأجنبية لمنحة دراسية أو نيل درجة علمية مع وجود الفساد والانحلال والفتن الموجودة في هذه البلاد؟ فأجاب بقوله: «إن كان المسافر عنده من الإيمان وقوة اليقين وثبات العقيدة ما يحجزه عن الوقوع في ذلك الفساد ولاسيما إذا حفظ نفسه من مخالطة أولئك، فلا بأس بالسفر لنيل العلم النافع

(١) تربية الأولاد (٢/ ٨٩٥).

له وللأمة، أما إذا لم يكن عنده ذلك الإيمان وتلك العقيدة، فدرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، وعليه فلا يجوز السفر لتلك البلاد والله أعلم»[١].

فإذا كان هذا هو الحال عند السفر لهدف علمي، فما بالكم إذا كان السفر للتنزه وقضاء الأوقات في أي مكان هناك متحقق فيه المفسدة، من عرى فاضح للنساء، وانتشار للاختلاط السافر الذي يصحبه منكرات أخرى سيئة، فهل يشك عاقل في عدم جواز ذلك.

لذا فإننا نوصي المسلمين بتقوى الله تعالى، وأن يشغلوا هذه الأوقات فيما يسعدون به في الدنيا والآخرة، من تلاوة القرآن الكريم وحفظ ما تيسر منه، فخير الناس من تعلم القرآن وعلمه، والقراء في الكتب المفيدة النافعة، وفي حضور حلقات العلم، حيث تنزل السكينة وتغشاهم الرحمة وتحفهم الملائكة ويذكرهم الله فيمن عنده، وفي الدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

---

(١) رسالة من الشيخ ـ حفظه الله ـ بتاريخ ١٤/ ١/ ١٩٨٤.

ومجالسة الأخيار المطيعين لله ورسوله والاستفادة منهم، فالمرء معتبر بقرينه وسوف يكون على دين خليله فلينظر من يخالل ، ولا بأس أيضًا بالذهاب إلى أماكن التنزه والاستمتاع بالطبيعة، ولكن بعيدًا عن الاختلاط وغير ذلك من المنكرات ، إن الإنسان مسئول عن أوقاته، ومحاسب عليها، ومجزىٌ على ما عمل فيها من خير أو شر والأوقات محدودة، والأنفاس معدودة، فينبغي حفظها والاستفادة منها في ما ينفع الإنسان في دينه ودنياه وآخرته وصونها عما يضر»[1].

[١٧] ستر الجدران:

ففي كثير من البيوت نجد الستائر الموضوعة على النوافذ والأبواب كبيرة الحجم دون فائدة - إلا من سرف وزينة وتفاخر - من أول الحائط حتى نهايته، وهذا ولاشك سرف مذموم وزينة، نهى عنها الشارع.

والجائز هو أن تكون ستائر البيت بالحجم الذي يستر

(١) نوصي بقراءة رسالة «الإفادة في ما ينبغي أن تشغل به الإجازة» لعبد الله آل جار الله.

العورات، ويتحقق به عدم إطلاع أحد أجنبي على أهل البيت، أما تدخل الذوق والموضة والعرف والعادات والتقاليد والجمال والشكل في ذلك، فإنه كله لا اعتبار له حيث قد ورد النهي عن ستر الجدران بالسجاد ونحوه ولو من غير الحرير.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ غائبًا في غزاة غزاها، فلما تحَيَّنْتُ فقوله، أخذ نَمَطًا[1] كانت لي فسترت به على العُرض (الجانب). فلما دخل رسول الله ﷺ تلقيته في الحجرة، فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، الحمد لله الذي أعزَّ فنصرك، وأقر عينك وأكرمك، قالت: فلم يكلمني! وعرفت في وجهه الغضب، ودخل البيت مسرعًا، وأخذ النمط بيده فجبذه (فجذبه) حتى هتكه، ثم قال: إن الله لم يأمرنا فيما رزقنا أن نكسو الحجاره» وفي رواية «أن نكسو الحجارة والطين»[2].

(١) ظهارة فراش ما أو ضرب من البسط «آداب الزفاف في السُّنَّة المطهرة للألباني».

(٢) رواه مسلم (٦/ ١٥٨)

ولننظر كيف كان التطبيق العملي عند سلف هذه الأمة:

قال سالم بن عبد الله: أعرست في عهد أبي، فآذن أبي الناس، وكان أبو أيوب فيمن آذنَّا، وقد ستروا بيتي بِنجاد[1] أخضر، فأقبل أبو أيوب فدخل، فرآني قائمًا واطلع فرأى البيت مستترًا بنجاد أخضر، فقال: يا عبد الله أتسترون الجدُرَ؟ قال أبي - واستحيى - غلبنا النساء أبا أيوب! فقال: من كنتُ أخشى عليه أن تغلبه النساء، فلم أكن أخشى عليك أن تغلبنك!، ثم قال: لا أطعم لكم طعامًا، ولا أدخل لكم بيتًا - ثم خرج - رحمه الله [2]- .

[١٧] كثرة الحلف بالطلاق، وسؤال المرأة زوجها الطلاق من غير بأس:

وهو من الأمور المشاهدة كثيرًا في البيوت، في غضب وغيره أن يلقي الرجل على امرأته لفظ الطلاق، ثم يقف

(١) وهو ما يزين به البيت من البسط والوسائد والفرش.
(٢) قال الألباني: وهذا سند جيد «آداب الزفاف».

متحـيرًا بعد ذلك، هل زوجته أصـبحت طالقًا أم لا، وكم طلقت من قبل، وأي يمين يقع به الطلاق، وأي يمين لا يقع به، ويدور في دائرة إبليسية مظلمة، كان في غنى عنها وفي مأمن منهـا، لو أنه اتقى الله تعالى وحفظ لسانـه وعرضه. ولذا فإنَّا نوصي الرجال بألا تلوك ألـسنتهم بألفاظ الطلاق، وليحـفظوا بيوتـهم، ولا يشتتـوا أولادهم ويخربوا علـيهم أمنهم وإيمانهم برعونتهم في إطلاق لفظ الطلاق دون حاجة تدعو لذلك..

وكذلك من المنكرات والمفـاسد الموجودة في كثـير من البـيـوت اليـوم قـول المرأة: طلقني... طـلقني... طلقني...!!..، ولو أن لذلك سـببًا يقـبله الشرع فـلا مانع، أما إن كان من غير بأس فهو حرام.

فـهل كلمـا حـدث بين المـرأة وزوجـهـا شيء طلبت الطلاق؟! وهل إن لم يُحضر لهـا ما تريد، ولم يُطع أمرها وهواها، طلبت الطلاق؟! فعن ثوبان ﷺ أن النبي ﷺ قال: «أيما امـرأة سـألت زوجـهـا الطلاق، من غـيـر بأس، فـحـرام

عليها رائحة الجنة»[١].

[١٩] خروج المعتدة من بيتها:

يقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق تحت عنوان: أين تمكث المطلقة وقت العدة؟ «يظن كثير من الناس أيضًا جهلاً وظلمًا أن المرأة يجب أو يجوز أن تخرج من بيت زوجها إذا أوقع الطلاق وأن يمضي وقت العدة في بيت غير بيت زوجها، وهذا خطأ فاحش وجهل بالدين. وكذلك تظن كثير من النساء أنه يجوز لهن الخروج من بيت الزوجية عند سماع كلمة الطلاق أو يجب عليهن الخروج، وهذا أيضًا خطأ فاحش ومخالفة صريحة لأمر الله سبحانه وتعالى. بل لا يجوز أن يخرج امرأته من بيتها بعد أن يعلمها بالطلاق إلا إذا انتهت عدتها، وكذلك لا يجوز لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تفارق بيتها عندما تسمع منه كلمة الطلاق إلا إذا انتهت عدتها ، وذلك كله تحقيقًا لقوله تعالى:

---

(١) رواه أبوداود والترمذي وغيرهما وصححه الألباني صحيح الجامع (١/ ٥٢٦) برقم (٢٧٠٦).



﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ .

(سورة الطلاق: ١).

وكذلك لا يجوز للمرأة أن تخرج بنفسها مغاضبة لزوجها نافرة منه إذا طلقها وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلا يَخْرُجْنَ﴾ أي بأنفسهن دون طرد ونحو ذلك، فالمرأة عند سماع الطلاق مازالت ملزمة بعقد النكاح الشرعي، وذلك حتى تنتهي عدتها وإرجاعها إلى الزوج مازال ممكنًا ومحتملاً» [١].

[٢٠] منكرات عقيدية:

[١] حرم الإسلام تصديق الكهان والعرافين لما روى مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «من أتى عرافًا فسأله عن شيء فصدقه بما قال لم تقبل له صلاة أربعين يومًا».

---

(١) الزواج في ظلال الإسلام ـ ص(١٢٦).

[٢] وحرم الاستقسام بالأزلام، وتشبه في أيامنا هذه ضرب الرَمل، والودَع وفتح الفنجان، وكل ما كان من هذا القبيل لقوله تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذِين آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة المائدة: ٩٠).

[٣] وحرَّم تعليق التمائم، وهو ما يعلق على الصغير أو الكبير من أحجبة وودع وخرز ونحوها على اعتقاد أنها تشفى من المرض أو تقي من العين أو تدفع الشر والمصيبة. لقوله ﷺ: «من علق تميمة فقد أشرك»[(١)].

[٤] وحرم التشاؤم، لما روى البزار والطبراني عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس منا من تَطير أو تُطير له»[(٢)].

[٥] شد الرحال لغير المساجد الثلاثة: المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ والمسجد الأقصى، والإقامة عند

---

(١) صحيح الجامع (٦٢٧)، الصحيحة (٤٩٢).
(٢) صحيح الجامع (٥٣١١).

قبـور الأولياء والصـالحين، ولا يخفى على أحـد ما يحدث هناك من مظاهر الـشرك الصارخة والمحـرمة شرعًـا من صرف بعض العـبادات لغيـر الله تعالى.
فعن أبي هريـرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى»[(١)].

[٦] الحلف بغيـر الله، تقول والنبي.. والنعمـة.. ونحو ذلك لقوله ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[(٢)].

[٢١] منكرات خاصة بالمرأة:

■ التعطر في وجود أجنبي، لقوله ﷺ: «أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية وكل عين زانية»[(٣)].

---

(١) صحيح الجامع (٧٣٣٢).
(٢) صحيح (إرواء الغليل للألباني برقم (٢٥٦١)
(٣) حديث حسن صحيح الجامع (٢٧٠١).

■ لبس الباروكة ولو للزوج لحديث ابن عمر رضي الله عنهما: «لعن الله الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة»[1].

■ التجميل المحظور شرعًا كالنمص ونحوه. فقد لعن رسول الله ﷺ النامصة والمتنمصة، وكذلك وشر الأسنان لحديث ابن مسعود رضي الله عنه: «لعن الله الواشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله»[2].

■ التزين بذهب فيه رسوم أو صور للنهي الوارد عن الصور والتماثيل.

■ طلاء الأظافر وإطالتها، لما في ذلك من التشبه الصارخ بنساء الكفار والفساق.

■ لبس الكعب العالي.

■ الخروج من البيت بغير إذن.

■ التصفيق والتصفير في الحفلات وغيرها.

---

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم صحيح الجامع (٥١٠٥)
(٢) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم صحيح الجامع (٥١٠٤)

■ لبس الملابس السوداء على الميت والنياحة عليه ولطم الخد وشق الجيب وخمش الوجه.

■ الظهور بالزينة والتبرج في شرفات المنازل ونوافذها وعلى أسطحة البيوت.

■ خلوة المرأة بخطيبها وهو غير جائز لأنه لا يزال رجلاً أجنبيًا عنها.

■ الإسراف في الزينة من ذهب أو ملبس ونحو ذلك.

■ التبرج في الحجاب حتى خرج عن مقصوده الأصلي بكف أعين الرجال عنها، فارتدت من الملابس الضيق والقصير والشفاف والمزركش والملون والمثير للشهوة.

■ لبس البنطلون أمام الرجال الأجانب عنها كما هو مشاهد اليوم من أحوال الفتيات والنساء، إلا أنه يجوز لبسه إذا كان للزوج فقط وبشرط ألا تنوي بلبسه اتباع الموضة أو التشبه بالفاسقات أو الكافرات أو التشبه بالرجال.

■ ارتداء الحجاب مع وضع الماكياج على الوجه في

وجود أجنبي عنها.

■ الذهاب إلى محلات المعاصي «الكوافير» حيث يعصى الله تعالى، وتظهر العورات، وتثار الشهوات، ويفتن النساء الرجال.

■ الذهاب إلى الرجال لتفصيل الملابس، وأخذ المقاسات، فضلاً عن اللمس والنظر إلى العورات، والفتنة، ودياثة ولي أمر المرأة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

[٢٢] بيوت لا تدخلها الملائكة:

﴿١﴾ **بيت فيه كلب:** لما رواه البخاري ومسلم وغيرهما أن النبي ﷺ قال: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة**». ويستثنى من ذلك ما كان للصيد والحراسة لقوله ﷺ: «**من اقتنى كلبًا إلا كلب ماشية، أو ضاريًا نقص من عمله كل يوم قيراطان**»[1].

﴿٢﴾ **بيت فيه تماثيل أو صور:** لما رواه أحمد

(١) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم صحيح الجامع (٦٠٧٧).

والترمذي وغيرهما عن أبي سعيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه تماثيل أو صورة»[١].

﴿ ٣ ﴾ بيت فيه جرس: فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الجرس مزامير الشيطان»[٢]. أي صوته ونغمته وإضلاله، ومنه حديث أبي بكر: أمزمور الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟

فيرشد النبي ﷺ إلى كراهة وجود الجرس في المنازل، أو تعليقه على الأطفال أو على الحيوانات حتى لا تلازمها الشياطين وتجتنبها الملائكة. والكنائس لمّا كانت من المواطن التي يشرك فيها بالله، ويدعى فيها إلى الشرك، وتُدق فيها الأجراس، كانت من أبعد الأماكن عن رضا الله، وكانت من الأماكن التي تهجرها ملائكة الرحمة، وتزين فيها الشياطين باطلها.

---

(١) صحيح الجامع (١٩٦١).

(٢) أخرجه أحمد ومسلم وأبوداود صحيح الجامع (٣١٠٧) وليس المقصود بالجرس هو الجرس الكهربائي الموجود على أبواب المنازل للإعلان عن وجود زائر.

وعند أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب أو جرس »[١] .

والملائكة جند الرحمن وهم دائمًا في حرب مع جند الشيطان، فإذا تخلت عنهم جنود الرحمن، استحوذت عليهم جنود الشيطان.

تنبيه: الجرس المقصود بالنهي: هو ما أشبه ناقوس الكنيسة في الصوت أو الشكل، ومن هنا يخرج من الحكم جرس الهاتف الحالي، وكذلك معظم أجراس البيوت، إلا ما أشبه ناقوس الكنيسة في الصوت مثل الجرس الذي يرن رنة واحدة ثم يسكت وهكذا.

وكذلك يدخل في النهي جرس ساعة الحائط التي تسمى بالبندول، فإنه يشبه ناقوس الكنيسة في الصوت. وأحب أن أنبه على تحريم الجرس الموسيقي، لا من جهة شبهه بناقوس النصارى، ولكن من جهة كونه من مزامير الشيطان»[٢].

---

(١) رواه مسلم، وأبوداود، والترمذي (٣/ ١٢٣) وقال حسن صحيح.
(٢) تحصين البيت من الشيطان ـ وحيد عبد السلام بالي ـ.

﴿ ٤ ﴾ بيت مسرف:

لما رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه، فإذا سقطت اللقمة فَلْيُمِطْ ما كان بها من أذى، ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان، فإذا فرغ فليلعق أصابعه، فإنه لا يدري في أي طعامه البركة» .

﴿ ٥ ﴾ بيت لا يذكر الله تعالى:

لما رواه مسلم أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله حين يدخل وحين يطعم، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء ههنا، وإن دخل ولم يذكر اسم الله عند دخوله قال: أدركتم المبيت، وإن لم يذكر اسم الله عند طعامه قال: أدركت المبيت والعشاء»



فصل في
اللهو الحلال

يقول عليّ كرم الله وجهه: إن القلوب تمل كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة. ويقول أيضًا: روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلب إذا أكره عمي. وروى البخاري في الأدب المفرد: كان أصحاب النبي ﷺ يتبادحون (يترامون) بالبِطيخ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال.

فلا بأس للمسلم أن يلهو ويمرح ويتفكه، على ألا يجعل ذلك عادته وخلقه، فيملأ به صباحه ومساءه، فيهزل في موضع الجد، ويعبث ويلغو في وقت العمل. وما أحسن ما قيل: أعط الوقت حقه من اللهو (المباح) بقدر ما يعطى الطعام من الملح(١).

---

(١) تربية الأولاد (٢/ ٨٧٠).

(ولقد أباح الإسلام اللهو والترفيه عن النفس في حدود الآداب المشروعة في مناسبات عديدة، لأن ذلك مما تنشرح به الصدور وتتوق إليه النفوس بحكم ما فطرها الله عليه، وليس معنى أن في الإسلام فسحة من الوقت أن حياة المسلم كلها تتسع لذلك، أو أن الترويح عن النفس هدف أو غرض أو غاية الحياة عند المسلم، بل يكون ذلك من قِبل فتح أبواب الثواب أمام المسلمين، بحيث يكون المسلم مأجورًا حتى في لهوه، فيلهو المسلم وهو بلهوه إنما يتقرب به إلى الله - عزَّ وجلَّ -، أي يتعبد بلهوه إلى الله - عزَّ وجلَّ -، وهنا يتضح الفرق بين المسلم وغيره، بين المسلم العارف لدينه الحريص على كل ما يقربه إلى الله، والمسلم الجاهل الذي يضيع نفسه بتقصيره وجهله.

وقد أجمع الفقهاء والأئمة على أن مقاصد الشريعة الإسلامية تحث على: حفظ الدين وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ النفس، وحفظ المال .

لذا ينبغي أن تراعي الآداب التالية عند اللهو بصفة عامة:

[١] ألا يجعل المسلم الناس محل مزاحه.

[٢] أن يحفظ اللاعب لسانه عن الفحش ورديء الكلام.

[٣] عدم الإسراف في المال أو الوقت.

[٤] لا يتخذ من مادة مزاحه الكذب ليضحك الناس.

[٥] ألا يكون هذا اللهو هو داءه ودينه، فإنما أفلح المؤمنون لأنهم كانوا عن اللهو معرضين.

[٦] ألا يؤخر بسببه - أي اللهو شريطة أن يكون مباحًا - عملاً واجبًا ولا يسهر، لأنه ﷺ كره النوم قبل العشاء والحديث بعدها إلا أن يكون في مجلس علم، أو مصلحة شرعية.

[٧] ألا يكون على قمار أو شبهه.

[٨] أن يكون اللهو خاليًا من الإثارة وأدوات الهدم.

[٩] ألا يصاحبه محرم (آلات موسيقى - شرب خمر - مجون).

[١٠] ألا يكون فيه إهدار كرامة الإنسان.

[١١] ألا تُكشف فيه عورة.

[١٢] ألا يكون فيه شيء من العنف الأعمى لمجرد الفوز (مثل ما يقال بالضربة القاضية أو المعجزة القاتلة).

[١٣] ألا يكون الغرض منه تمجيدًا ومفاخرة وليس تمرينًا ومثابرة)[١].

صور من اللهو الحلال :

[١] الغناء وضرب الدف في مناسبات الزواج وقدوم الغائب والعيدين بشروط:

﴿ أ ﴾ أن يكون من النساء للنساء أو من الأطفال عمومًا بشرط ألا يكون في الأطفال إناث

---

(١) اللهو المباح في العصر الحديث بما يوافق الشرع الحنيف لأبي حذيفة إبراهيم بن محمد بتصرف.

تشتهيهن النظرة أو السمع ولو قبل البلوغ.

﴿ ب ﴾ أن يكون في المناسبات التي حددها الشرع كما ذكرنا آنفًا.

﴿ جـ ﴾ أن تكون الكلمات ومعانيها مما لا ينهي عنها الشرع.

﴿ د ﴾ ألا يصاحبه موسيقى أو معازف اللهم إلا الدف.

﴿ هـ ﴾ ألا يضيع فرضًا، أو ينهى عن معروف)[1].

[٢] ما يخص الأطفال من لعب بالمراجيح، واللعب بالبنات (لعب الأطفال) والرسم (مناظر طبيعية ونحوها) والأشغال وتربية الحيوان.

[٣] ألعاب الفروسية من المفاضلة بالحراب والنشاب والسهام وركوب الخيل.

[٤] ألعاب القوى ولكن بضوابطها الشرعية من عدم

(١) إليك أيتها الفتاة المسلمة لمنير الغضبان.

ظهور العورة وأن يكون للرجال.

[٥] المسابقات سواء بالأقدام أو الدراجات أو العربات أو الخيل.

[٦] السباحـــة.

[٧] الصيـــد.

[٨] كرة القدم والسلة والطائرة والتنس وتنس الطاولة.

فكل ذلك جائز ومـــا يستحدث طالما وافق المواصـــفات التي حددها الشرع الحنيف أو ثبت فيها نص عن رسول الله ﷺ، مع مراعاة الآداب مع كل لعبة منهـــا مهما اختلفت الأسماء وتعددت الطرق)[٢].

سؤال هام يطرح نفسه:

وليســـأل سائل مـــاذا يفعل وبأي قول يـــأخذ في حكم المنكرات السابقة لاسـيما وأن هناك من يفتي بجواز بعـضها

---

(١) لمزيد من الفائدة راجع كتاب اللهو المبـاح في العصر الحديث، تربية الأولاد في الإسلام: (٢/ ٨٥٦: ٨٧٦).

ومنهم من يفتي بعدم الجواز؟

* **وللإجابة على هذا السؤال نذكر قواعد هامة:**

أولاً - على المسلم أن يستفتي من توافرت فيه الصلاحية للإفتاء، لأن استفتاءه يتعلق بالدين، فعليه أن يحتاط لدينه فيسأل من هو أهل للإفتاء.

ولكن كيف يعرف العامي الصالح الكفء ليسأله؟ قالوا يعرف ذلك بالسؤال عنه أو إخبار الثقة له عنه أو باشتهار أمره بين الناس وهذا هو المقدور للعامي فإذا لم يجد العامي في بلده من يستفتيه، فعليه أن يرحل إلى حيث يجد من يفتيه، فقد كان السلف الصالح إذا احتاج أحدهم إلى معرفة مسألة شرعية ولم يجد من يخبره بحكمها، رحل إلى حيث يجد العالم الكفء الذي يخبره بذلك.

ثانياً - يستحب للعامي التحري عن الأصلح واستفتاؤه كلما كان ذلك ميسوراً له، فإذا كثر المفتون في بلده، فله أن يسأل من شاء من أهل الإفتاء ماداموا صالحين له، لأن العامي لا قدرة له على معرفة الأصلح.

ثالثًا - المستـفاد من أقوال العلماء أن الأصلح للإفـتاء هو الأعلم الأورع، ولكن إذا وجد المـستفـتي المفتي الأعلم ووجد المفتـي الأورع فأيهما يســأل؟ يسأل الأورع، لأن ما عنده من العلم يكـفي للإفتـاء، ولأن ورعـه يحجـزه عن التهـجم على الفتوى والتـساهل فيـها، ويبعـده عن مزالق الهوى الخـفي، كمـا أن ورعه يدفـعه إلى البحـث الشديد لمعـرفة الحكـم الصحـيح. بل ويمكن القـول أن الأورع هو الأصلح للإفتاء في زماننا هذا فيتعين اسـتفتاؤه دون غيره ما أمكن ذلك، لقلة الورع عند العامة وبعض أهل العلم.

رابعًا - إذا اختلفت الفتوى على المستـفتي فماذا يفعل؟ إذا كان المستفتي قد اسـتفتى الأعلم الأورع، فعليه أن يأخذ بقوله ولا عـبرة بعدم اطمئنانه وسكون نفـسه، وليس له أن يســأل غيره. وإذا لم يـكن المستـفتي قد اسـتفـتى الأعلم الأورع، فعليه أن يتحرى عنه فيـسأله ويأخذ بقوله، فإن لم يجـده ولكن وجد الأورع أخـذ بقوله. وإذا كـان الجمـيع متساوين بالعلم والورع كما يبدو للمستفتي ولم تسكن نفسه

إلى قول من استفتاه، فله أن يستفتي الآخرين، فإن اتفقوا فيها أخذ بفتياهم، وإن اختلفوا أخذ بما تطمئن إليه نفسه من أقوالهم دون تقيد بكثرة المتفقين أو قلتهم، لأن الكثرة بذاتها ليست من المرجحات في باب الفتاوى، وإنما الترجيح بالدليل، فإن لم يكن هناك دليل صريح يصلح للترجيح، كان الترجيح لقول الأعلم الأورع ثم لقول الأورع، فإن انعدم هذا كان الترجيح باطمئنان النفس وسكونها عملاً بالحديث الشريف: «استفت نفسك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك»[(١)]. وقوله ﷺ: «دع ما يُريبك إلى ما لا يُريبك»[(٢)].



(١) رواه البخاري في التاريخ عن وابصة بلفظ: «استفت نفسك وإن أفتاك المفتون» صحيح الجامع (١/ ٢٢٤).

(٢) صحيح الجامع (١/ ٦٣٧) - أصول الدعوة للدكتور عبد الكريم زيدان بتصرف واختصار.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووجوب تغيير المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة عظيمة جدًا من شعائر ديننا الحنيف، ويهلك الأفراد وتهلك الأمم والجماعات إن هي أعرضت عن هذه الشعيرة، لذلك فقد أعلى القرآن الكريم والسنة الصحيحة من شأنها:

فقال تعالى في معرض مدحه للمؤمنين: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة التوبة: ١١٢).

قال ابن كثير - رحمه الله -:

«هذا نعتُ المؤمنين الذي اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بهذه الصفات الجميلة والخلال الجليلة.. ولهذا قال: ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ وهم مع ذلك ينفعون خلق

الله، ويرشدونهم إلى طاعة الله بأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر مع العلم بما ينبغي فعله، ويجب تركه، وهو حفظ حدود الله في تحليله وتحريمه، علمًا وعملاً، فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق، ولهذا قال: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لأن الإيمان يشمل هذا كله، والسعادة كل السعادة لمن اتصف به، فهم يسعون لإكمال أنفسهم، وإكمال غيرهم»[1].

وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

(سورة المائدة: ٧٨-٧٩).

قال ابن كثير - رحمه الله -:

«كان لا ينهى أحدٌ منهم أحدًا عن ارتكاب المآثم والمحارم، ثم ذمهم على ذلك ليحذر أن يُرْكب مثل الذي ارتكبوا فقال: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾»[2].

---

(١) تفسير القرآن العظيم. (٤/ ٢١٩) بتحقيق سامي بن محمد السلامة.
(٢) تفسير القرآن العظيم. (٣/ ١٦٠).

وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١١٠).

قال الفخر الرازي - رحمه الله -: «إنه ثبت في أصول الفقه أن ذِكْرَ الحكم مقرونًا بالوصف المناسب له، يدل على كون ذلك الحكم معللاً بذلك الوصف، فها هنا حكمه تعالى بثبوت وصف الخيرية لهذه الأمور، ثم ذكر عقيبة هذا الحكم هذه الطاعات، أعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان، فوجب كون تلك الخيرية معللة بهذه العبادات» (١).

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة: ٧١).

---

(١) مفاتيح الغيب (٣/ ٣٧)

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

«جعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقًا بين المؤمنين والمنافقين، فدل على أن أخصَّ أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورأسها الدعاء إلى الإسلام والقتال عليه»[1].

قال ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ:

«وفي هذه الأية دليل على أن وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليست خاصة بالرجال، بل حتى النساء عليهن أن يأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر، ولكن في حقول النساء، وليس في مجامع الرجال وفي أسواق الرجال، لكن في حقول النساء ومجتمعات النساء، في أيام العرس، وفي أيام الدراسة وما أشبه ذلك ، إذا رأت المرأة منكرًا تنهي عنه، وإذا رأت تفريطًا في واجب تأمر به، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل

(١) الجامع لأحكام القرآن.

مؤمن ومؤمنة»[1].

وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٤).

قال ابن كثير - رحمه الله -:

(«ولتكن منكم أمة» أي: منتصبة للقيام بأمران، في الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والمقصود من هذه الآية: أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه)[2].

---

(١) شرح رياض الصالحين (٤/ ٥٠٠، ٥٠١)

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٩١).



فصل في

الدافع إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يقول ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

«واعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تارة يحمل على رجاء ثوابه، وتارة خوف العقاب في تركه، وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه، وتارة النصيحة للمؤمنين والرحمة لهم ورجاء إنقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لعقوبة الله وغضبه في الدنيا والآخرة، وتارة يحمل عليه إجلال الله وإعظامه ومحبته، وأنه أهل أن يطاع ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر، وأنه يفتدى من انتهاك محارمه بالنفوس والأموال، كما قال بعض السلف: وددت أن الخلق كلهم أطاعوا الله وأن لحمي قرض بالمقاريض. وكان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز يقول

لأبيه: وددت أني غلت بي وبك القدور في الله تعالى.
ومن لحظ هذا المقام والذي قبله هان عليه كلٌ ما يلقى من الأذى في الله تعالى، وربما دعا لمن آذاه كما قال ذلك النبي ﷺ لما ضربه قومه»[1].

وروى الإمام الترمذي عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**»[2].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا أيها الناس إنكم لتقرؤن هذه الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾ (سورة المائدة: ١٠٥). وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه**»[3].

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٣٤-٢٣٥).
(٢) قال الترمذي: حديث حسن.
(٣) رواه أبوداود والترمذي والنسائي وغيرهم.

وروى مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»

وعن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعمله ثم لم يغيروه إلا عمهم الله تعالى بعقاب منه»[(١)].

وروى مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»

قال ابن عثيمين - رحمه الله -: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى أمور:

(١) رواه أبوداود وابن ماجة وأحمد، وصححه الألباني.

الأمر الأول - أن يكون الإنسان عالمًا بالمعروف والمنكر، فإن لم يكن عـالمًا بالمعروف فإنه لا يجـوز أن يأمر به، لأنه قد يأمـر بأمر يظنه معروفًـا وهو منكر ولا يدري، فلابد أن يكون عالمًا أن هذا مـن المعروف الذي شرعـه الله ورسوله، ولابد أن يكون عالمًا بالمنكر، أي عالمًا بأن هذا منكر فإن لم يكن عـالمًا بذلك فلا ينه عنه، لأنه قـد ينهي عن شيء هو معروف فيترك المعروف بسببه، أو ينهى عن شيء وهو مباح فيضـيق على عباد الله، بمنعـهم مما أباح الله لهم، فلابد أن يكون عالمًا بأن هذا مـنكر، وقد يتسـرع كثيـر من إخواننـا الغيـورين، فينهون عن أمور مباحة يظنونها منكرًا فيضيقون على عباد الله.

فـالـواجب أن لا تأمـر بشيء إلا وأنت تـدري أنه معروف، وأن لا تنه عن شيء إلا وأنت تدري أنه منكر.

الأمر الثاني - أن تعلم بأن هذا الرجل تارك للمعروف أو فاعل للمنكر، ولا تأخـذ الناس بالتهمـة أو بالظن، فإن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ

بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا﴾ (سورة الحجرات: ١٢). فإذا رأيت شخصًا لا يصلي معك في المسجد، فلا يلزم من ذلك أنه لا يصلي في مسجد آخر، بل قد يكون يصلي في مسجد آخر، وقد يكون معذورًا، فلا تذهب من أجل أن تنكر عليه حتى تعلم أنه يتخلف بلا عذر.

نعم لا بأس أن تذهب وتسأله، وتقول: يا فلان، نحن نفقدك في المسجد، لا بأس عليك، أما أن تنكر، أو أشد من ذلك أن تتكلم به في المجالس، فهذا لا يجوز، لأنك لا تدري، ربما يكون يصلي في مسجد آخر، أو يكون معذورًا.

ولهذا كان النبي عليه الصلاة والسلام يستفهم أولاً قبل أن يأمر، فإنه ثبت في صحيح مسلم أن رجلاً دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب، فجلس ولم يصل تحية المسجد، فقال النبي ﷺ: «**أصليت**»؟ قال: لا، قال: «**قم فصل ركعتين**»[1]، ولم يأمره أن يصلي ركعتين حتى سأله:

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٩٣٠، ٩٣١) كتاب الجمعة ومسلم رقم (٨٧٥) كتاب الجمعة.

هل صلى أم لا؟ مع ظاهر الحال أنه رجل دخل وجلس ولم يصل، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام خاف أن يكون قد صلى وهو لم يشعر به، فقال: «أصليت» فقال: لا، قال: «قم فصلِ ركعتين».

كذلك في المنكر لا يجوز أن تنكر على شخص إلا إذا علمت أنه وقع في المنكر، فإذا رأيت مع شخص امرأة في سيارة مثلاً، فإنه لا يجوز أن تتكلم عليه أو على المرأة، لأنه ربما أن تكون هذه المرأة من محارمه، زوجة أو أم أو أخت أو ما أشبه ذلك، حتى تعلم أنه قد أركب معه امرأة ليست من محارمه، وأمثال هذا كثير المهم أنه لابد من علم الإنسان أن هذا معروف ليأمر به، أو منكر لينهي عنه، ولابد أن يعلم أيضًا أن الذي وجه إليه الأمر أو النهي قد وقع في أمر يحتاج إلي أمر فيه أو نهي عنه.

ثم إن الذي ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون رفيقًا بأمره رفيقًا في نهيه، لأنه إذا كان رفيقًا أعطاه الله ـ سبحانه وتعالى ـ ما لا يعطي على العنف، كما

قال النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**إن الله يعطي على الرفق مالا يعطي عن العنف**»[1]. فأنت إذا عنفت على من تنصح ربما ينفر، وتأخذه العزة بالإثم، ولا ينقاد لك، ولكن إذا جئته بالتي هي أحسن فإنه ينتفع.

ويُذكر أن رجلاً من أهل الحسبة - يعني من الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر - في زمان مضى قديمًا مر على شخص يسنى على إبله يستخرج لها الماء من البئر عند آذان المغرب، وعادة الناس الذي يسنون أن يحدوا بالإبل، يعني يُنشد شعرًا من أجل أن تخف الإبل، لأن الإبل سبحان الله تطرب لنشيد الشعر فجاء هذا الرجل ومعه غيره، وتكلم على هذا بكلام قبيح على العامل الذي يسني، والعامل متعب من الشغل وضاقت عليه نفسه فضرب الرجل بالمسوقة - المسوقة عصا طويلة متينة - فشرد الرجل وذهب إلى المسجد والتقى بالشيخ - عالم من العلماء من أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وقال

(١) أخرجه مسلم رقم(٢٥٩٣) كتاب البر والصلة.



إني فعلت كذا وكذا وإن الرجل ضربني بالمسوقة.

فلما كان من اليوم الثاني ذهب الشيخ بنفسه إلى المكان قبل غروب الشمس، وتوضأ ووضع مشلحه على خشبة حول منحاة.

ثم أذن المغرب فوقف كأنه يريد أن يأخذ المشلح، فقال له يا فلان يا أخي جزاك الله خيرًا، أنت تطلب الخير في العمل هذا، وأنت على خير، لكن الآن أذان، لو أنك تذهب وتصلي المغرب وترجع ما فاتك شيء. الكلام اللين هين، قال له جزاك الله خيرًا. مر عليَّ رجل أمس جلف وقام ينتهرني، وقال لي: أنت فيك ما فيك، وما ملكت نفسي حتى ضربته بالمسوقة، قال الأمر لا يحتاج إلى ضرب، أنت عاقل. تكلم معه بكلام لين فأسند المسوقة العصا التي يضرب بها الإبل ثم ذهب يصلي بانقياد.

وكان هذا لأن الأول عامله بالعنف والثاني عامله بالرفق، ونحن وإن لم تحصل هذه القضية فلدينا كلام الرسول ﷺ، يقول: «**إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي**

على العنف»(١). ويقول ﷺ: «**ما كان الرفق في شيء إلا زانه وما ينزع من شيء إلا شانه**»(٢). فعلى الآمر أن يحرص على أن يكون أمره ونهيه رفيقًا.

الشرط الثالث - أن لا يزول المنكر إلى ما هو أعظم منه، فإن كان هذا المنكر لو نهينا عنه زال إلى ما هو أعظم منه، فإنه لا يجوز أن ننهي عنه، درءًا لكبرى المفسدتين بصغراهما. لأنه إذا تعارض عندنا مفسدتان وكانت إحداهما أكبر من الأخرى، فإننا نتقي الكبرى بالصغرى.

مثال ذلك لو أن رجلاً يشرب الدخان أمامك فأردت أن تنهاه وتقيمه من المجلس، ولكنك تعرف أنك لو فعلت لذهب يجلس مع السكارى، ومعلوم أن شرب الخمر أعظم من شرب الدخان، فهنا لاننهاه بل نعالجه بالتي هي أحسن لئلا يؤول الأمر إلي ما هو أنكر وأعظم.

ويُذكر أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه مر

---

(١) تقدم قريبًا.

(٢) أخرجه مسلم رقم (٢٥٩٤) كتاب البر والصلة.

بقوم في الشـام من التتار ووجـدهم يشربون الخمـر، وكان معه صاحب له، فمر بهم شـيخ الإسلام ولم ينههم، فقال له صاحبه لماذا لم تنههم؟ قـال: لو نهيناهم لذهبوا يهتكون أعراض المسلمين وينهبـون أموالهم، وهذا أعظم من شربهم الخمر، فـتركهم مخافة أن يفـعلوا ما هو أنكر وأعظم وهذا لاشك أنه من فقهه - رحمه الله -.

فالمهم أنه يشترط لوجـوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن لا يتضـمن ذلك ما هو أكبر ضـررًا وأعظم إثمًا، فإن تضمن ذلك فإن الواجب دفع أعلى المفسدتين بأدناهما، ودفع أكبرهما بأصغرهما، وهذه قاعدة مشهورة معروفة عند العلماء.

الشـرط الرابع - اخـتلف العلمـاء - رحمـهم الله - في اشتراط أن يكون الآمر والناهي فاعلاً لما أمر به تاركًا لما نهي عنه، والصحـيح أنه لا يشترط، وأنه يأمـر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولو كـان لا يفعل المعروف ولا يتـجنب المنكر، فـإن ذنبه عليـه، لكن يجب أن يأمـر وينهى، لأنه إذا ترك

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفعل المأمور ولا يترك المحظور، لأضاف ذنبًا إلى ذنبه، لذا فإنه يجب عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وإن كان يفعل المنكر ويترك المعروف.

ولكن في الغالب بمقتضى الطبيعة الفطرية أن الإنسان لا يأمر الناس بشيء لا يفعله، بل يستحي، ويخجل، ولا ينهى الناس عن شيء يفعله. لكن الواجب أن يأمر بما أمر به الشرع وإن كان لا يفعله، وأن ينهى عما نهى عنه الشرع وإن كان لا يتجنبه، لأن كل واحد منهما واجب منفصل عن الآخر، وهما غير متلازمين.

ثم إنه ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يقصد بذلك إصلاح الخَلْق وإقامة شرع الله، لا أن يقصد الانتقام من العاصي، أو الانتصار لنفسه، فإنه إذا نوى هذه النية لم ينزل الله البركة في أمره ولا في نهيه، بل يكون كالطبيب يريد معالجة الناس ودفع البلاء عنهم، فينوي بأمره أولاً إقامة شرع الله وثانيًا إصلاح خلق الله، وكذلك نهيه،

حتى يكون مصلحًا وصالحًا، نسأل الله أن يجعلني وإياكم من الهداة المهتدين المصلحين الصالحين إنه جواد كريم»[١].

ويقع العبء الكبير والمسئولية العظمى داخل البيت المسلم على الوالدين، وعلى الرجل بصفة خاصة، حيث أنه المسئول الأول والراعي الأول والسيد داخل البيت.

«ومما يؤسف له أنَّ هذه الأسرة المستهدفة من قِبَل الأعداء مهددة أيضًا من قبل أصحابها المسئولين عنها... وإن المسؤولية في الأسرة يتحملها الرجل في قطاع كبير قال ﷺ: «**كلكم راع ومسؤول عن رعيته.. والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته**»[٢].

كما أن المرأة أيضًا تتحمل مسؤولية قررها رسول الله ﷺ بقوله: «**والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها**». إن على كل أب وكل أم أن يستشعر هذه المسؤولية نحو الأسرة.. فهناك خطر داهم ماحق خطير، والأسرة هي

(١) شرح رياض الصالحين (٤/ ٤٩١: ٤٩٧).
(٢) رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر وانظر «الترغيب والترهيب» (٣/ ٨).

ـ كما أسلفنـا ـ القلعة الأخيرة التي إن خسـرناها نكون قد أضعنا كـرامتنا وديننا ومجتـمعاتنا، ذلك لأن أكثـر شعوب العالم الإِسلامي غُزيت بما يهدد عقيدتها في عدة مجالات: في المدرسـة. . ومنـاهج التـعليم. . في السـوق والمتـجـر والمصنع. . في وسائل الإعلام وأدوات تكوين الرأي العام.

وقد حـيل ـ في كثـير من بلاد المسلمين ـ بـين الدعاة العاملين والناس، ولم يبق لهذه العناصـر المسلمة الخيرة من مـجال إلا الأسـرة. نعم بقـيت المنطـلق الوحيـد لهـؤلاء الدعـاة. . ونحن لا نودُّ أن نلقي اللوم على الأعداء ونـبرئ أنفسنا. . إن كثيرًا منَّا يتحـمل في هذا الأمر أكبر نصيب في المسؤولـية. ويحسن بنـا أن نذكر أهم الأمور التـي تعرض الأسـرة للخطر الماحق، والتي تعـود إلينا نحن. **إن الأمـور الخمسة الآتية أهم ما يرد في هذا المجال وهي:**

[١] الشغل المتواصل:

أصبح ربُّ الأسرة ـ في معظم الأحيان ـ عاجزًا عن أن يجد الوقت الذي يجتمع فيه بنفسه أو بأفراد أسرته يوجههم

ويحدثهم ويستمع إليهم، حتى إن زوجته لا يتاح لها أن تجلس معه وتتفاهم معه على الخطة الرشيدة التي يجب أن يسير بموجبها أفراد الأسرة، ففي الصباح يسارع إلى عمله الدنيوي، ولا يعود إلا لتناول طعام الغذاء وأخذ قسط من الراحة تمنع خلاله الحركات والهمسات ولا يعود في المساء إلا في ساعة متأخرة من الليل ليجد أهل البيت نيامًا. وإذا كان هذا الوضع مستنكرًا صدوره من عامة الناس فإنه من المتدينين أشد، واللوم لهم أكثر، ذلك لأن هذا الأخ المتدين سيجد نفسه ـ بعد مدة ـ في واد، وزوجته وأولاده في وادٍ آخر، وسيندم ولات ساعة مندم. ومن المؤسف أن هذا الشغل لم يقتصر على الرجل بل شمل في بعض الأسر المرأة التي تترك بيتها سحابة النهار وتكل تربية أبنائها وإعداد بيتها للخادمة. . فيكون من ذلك الضياع التام.

والشغل متنوع، وأكثره في الدنيا والكسب، غير أن هناك نوعًا غريبًا جدًا من أنواع الشغل، وهو ما يكون للدعوة وإصلاح الناس. . . وذلك خطأ في تصور الدعوة

والعمل، والمرء مطالب بأن يصلح أهله أشد المطالبة يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (سورة التحريم:٦). ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (سورة طه:١٣٢). وهذا الإهمال لأهله سيوقعهم في الانحراف والمخالفة، وعندئذ لا يقوى على الاستمرار في الدعوة إلى الله. إذ سرعان ما تلوكه الألسنة، ويقال له: إن كنت صادقًا فأصلح بيتك، ويكون هذا الوضع الخاص مضعفًا لتأثيره في الناس لأن معنى القدوة يفوت بوجود مثل هذا الوضع، ويكون ذلك سببًا في أن يتعكر صفوه، وتتنغص عليه لذاته، وفي أن تتولد فيه عقد، وتواجهه مشكلات، قد تحول بينه وبين الاستمرار في الدعوة.

[٢] عدم تقدير المستقبل:

كثيرًا ما يتصرف المرء بعض التصرفات، ولا يقدر أثرها في المستقبل، فقد يتصور أن سكوته على أمر ما هين



يسير، ولكن ذلك يهدم الأسرة هدمًا تامًا. وقد يتصور أن أولاده صغار لا يستحقون أن يخصهم بجزء من وقته الثمين فهو يضحك منهم، ويسخر منهم، ولا يأمر واحدًا منهم بخير، ولا ينهاه أو يحذره من منكر. ولا يقدر المستقبل. ولا يدري أن هذا الطفل الصغير سيكون بعد مدة وجيزة رجلاً كبيرًا، قد يكون له شأنه في البيت، بل في المجتمع كله.

[٣] روح اللامبالاة:

وقد سرت هذه الروح في عدد من أبناء أمتنا المجيدة، مع أن الإسلام يربي في أبنائه الشعور بالمسئولية، وينمي فيهم الاهتمام بشؤون المسلمين، فليس هناك أمر يحدث في المجتمع ولا تأثير فيه، وما أروع حديث السفينة لذي يجعل أيّ عمل من أي فرد له تأثير على المجتمع كله، إن هذا الحديث يبين لنا أن روح اللامبالاة تقضي على الأمة، إذ لو أن ذاك الرجل الذي أراد أن يخرق في موضعه من السفينة خرقًا وترك وشأنه

انطلاقًا من روح اللامبالاة، لهلك وهلك ركاب السفينة جميعًا.

[٤] سيطرة التقاليد الاجتماعية المتعفنة وقلة العلم بالدين:

وهذا أمرٌ في غاية الأهمية، إذ نرى أن كثيرًا من هذه التقاليد التي لم يشرعها الله تحل محل الدين في كثير من بلاد المسلمين، وَمكَّنَ لها من السيطرة الجهل بدين الله وتخلف الوعي الإسلامي، وهي تختلف من بلد إلى بلد، ولكنها في هذه البلاد جميعًا تسيء في عملية بناء الأسرة بناء متينًا أو في محاولة الإبقاء عليها أمام هذه الأعاصير.

[٥] تسلط المرأة على التوجيه وإدارة البيت:

وقد سرى هذا الداء في أوساطنا بسبب التقليد، وهو من أخطر الأمور وأكثرها إيذاءً، فقد تقترح المرأة أن تلبس البنات لباسًا لا يقره الإسلام بحجة أنهنَّ صغيرات،

وأن الناس هكذا يعملون وأن المصلحة في مسايرة الزمان، ويضعف الرجل ويوافق.

وقد ترى المرأة أن تقوم بألوان من الاستقبالات التي لا يقرها الإِسلام، ويضعف الرجل ويوافق.

وفي هذا ما فيه من الهدم للأسرة. وإنه انتكاسٌ للأمور يمكن أن يفهم من قوله ﷺ عندما ذكر أمارات الساعة فقال: «أن تلد الأمة ربَّتها»، وليس معنى هذا أن نلغي شخصية المرأة. . لا. . ولكنها القوامة. . التي جعلها الله للرجل في حدود شرعه. ومهما يكن من أمر فإن الغاء شخصية الرجل أكبر خطرًا وأعظم أثرًا.

هذه أمور بأيدينا نحن فلنتق الله فيها. . ولنصلح الفاسد. . ولنحذر غرق سفينة المجتمع. إن الأسرة هي القلعة الأخيرة التي ينبغي أن نقف حياتنا وإمكانياتنا لحمايتها وحفظها وإنا لمسؤولون)[1].

(١) نظرت في الأسرة المسلمة ـ دكتور محمد لطفي الصباغ ـ (ص٢٨ : ٣١)



فصل

هل على النساء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يخطئ البعض إذا اعتقد أن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصة بالرجال، بل هي واجبة على النساء كما هي واجبة على الرجال، **ومن النصوص الدالة على ذلك:**

قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة: ٧١).

يقول الإمام ابن النحاس الدمشقي: «قلت: وفي ذكره تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ هنا دليل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على النساء كوجوبه على الرجال

حيث وجدت الاستطاعة»[1].

وقوله ﷺ فيما رواه الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**» ثم ذكر: «**والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم**».

وإن للنساء أثرًا بالغًا وأهمية كبرى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومما يبين أهمية قيام النساء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أنهن يمكثن فترة أطول مع الأولاد من مكث الرجال معهم، لانشغالهم غالبًا خارج البيوت في كسب المعيشة وتدبير أمور أخرى، ولكن الأصل للنساء القرار في البيوت، فيتمتع الأولاد بصحبتهن ساعات طويلة. وإن الفرصة تمكنهن ـ بفضل الله تعالى إن أردن استغلالها ـ من أمر الأولاد بالمعروف ونهيهم عن المنكر بصورة كبيرة.

---

(١) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين ـ ص(٢٠).

ومن المعروف أن الأولاد أكثر التصاقًا ولحوقًا بالأمهات من الآباء، ومن مظاهر هذا أن الأولاد لا يترددون في نقل أسرارهم - في كثير من الأحيان - إلى أمهاتهم في حين يخفيها عن آبائهم.

ولا يقتصر هذا الأثر على البنات بل هو - إلى حد كبير - كذلك على البنين. فكم من أبناء يبذل آباؤهم الكثير من الوقت والجهد في إقناعهم بشيء ما، لكن تعود المحاولات كلها بالفشل، فتدخل الأمهات فيجعل الله تعالى في كلماتهن اللينة الرقيقة العذبة الخفيفة تأثيرًا تنقلب به الأفكار، وتتحول به الرغبات، وتتغير به العزائم، وتتبدل به المخططات والمشروعات، ويتغير مسير الحياة.

قد تُحدث دموع الأمهات الغالية من الأثر على بعض الأبناء ما يعجز عن إيجاد مثل عشرات المحاضرات والندوات، وتُملي وتنفذ من الأوامر ما قد يعجز عن إملائها وتنفيذها أصحاب القوة والبطش.



ولبعض الزوجات أثر بالغ على أزواجهن، ولعل في قصة طلب زوجة فرعون من الإبقاء على موسى - عليه السلام - ما يؤكد هذا، كما قال تعالى: ﴿**وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**﴾ (سورة القصص: ٩). فما كان من فرعون إلا النزول على رغبة زوجته.

وللأخوات منزلة خاصة عند بعض الإخوة، وما كان ترحيب رسول الله ﷺ بأخته من الرضاعة وبسطه رداءه لها إلا تعبيرًا لتلك المنزلة. وحتى في عصرنا الحاضر كم من أخ يتحمل غربة الديار والبعد عن الأحباب والأقارب للحصول على ما يرى ضرورة تقديمه لأخته من المال والمتاع. وكم من أخ يصعب عليه رفض طلب أخته في وقت لا يبالي ولا يهتم بطلب غيرها)[١].

إذن دائرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تدور داخل

---

(١) مسئولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - د. فضل إلهي - بتصرف واختصار.

البيت المسلم بين الأب والأم والأولاد ووالإخوة والأخوات، كلٌّ يأمر غيره بالمعروف وينهاه عن المنكر برفق وأدب، وبالحكمة، والموعظة الحسنة.

ومن أعظم ما يجب الأمر به بالمعروف والتواصي به دائمًا: إقامة الصلاة. ومن أعظم ما يجب النهي عنه: ترك الصلاة.. فكم من أب لا يبالي بهجر ولده للصلاة، وكم من أم لا تبالي بهجر ابنتها للصلاة، وكأن الأمر لا يعنيهم في شيء، المهم، المذاكرة واللهو واللعب وطاعة الوالدين وعدم إحداث مشاكل داخل البيت لاسيما مع الإخوة والأخوات، ولا حول ولا قوة إلا بالله!!

وقد أمر النبي الكريم ﷺ المسلمين بأمر صبيانهم بالصلاة إذا بلغوا سبع سنين، وضربهم عليها إذا بلغوا عشر سنين، كما قال ﷺ: **«مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، وإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها»**[1]. وواضح من

(١) رواه أبوداود والترمذي والحاكم، وقال الألباني ـ رحمه الله ـ: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ١/ ٩٧).

الحديث أن أولياء الصبي من أب أو أم أو غيرهما ليس لهم خبرة في هذا، بل يجب عليهم أن يفعلوا ما أمروا به.

قال الإمام الشافعي: «على الآباء والأمهات أن يؤدبوا أولادهم، ويعلموهم الطهارة والصلاة، ويضربوهم على ذلك إذا عقلوا، من احتلم أو حاض، أو استكمل خمس عشرة سنة لزمه الفرض»[١].

وقال السفاريني: «قد صرح علماؤنا في الفقه بأن على ولي الصبي أن يأمره بالصلاة لسبع، ويجب عليه ضربه على تركها لعشر. فهذا صريح في الوجوب، ويجب عليه أيضًا أن يعلمه ما يجب عليه علمه أو يقيم له من يعلمه ذلك»[٢].

ومما ينبغي الانتباه إليه أن أمر النبي ﷺ للأولياء بأن يأمروا صبيانهم بالصلاة ليس خاصًا بالآباء فقط، بل يشمل أيضًا الأمهات، وذلك لقوله ﷺ **« والمرأة راعية على أهل**

(١) انظر شرح السنة للبغوي (٢/ ٤٠٧).
(٢) غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب (١/ ٢٣٢).

بيت زوجها وولده، وهي مسئوله عنهم»[1].

والحكمة في أمر الأطفال بالصلاة في هذا السن الصغير كي يعتادوها، فيسهل عليهم إقامتها إذا كبروا، وإلا فهناك من طعن في السن لا يصلي لأنه لم يعتادها منذ صغره، فأصبحت ثقيلة عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد دأب السلف الصالح على العناية بأمر أطفالهم بالصلاة، وذلك لعظم شأنها، وكبير فضلها، وعلو مكانتها:

فهذا عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: «حافظوا على أبنائكم في الصلاة» أي حافظوا على إخبارهم بوقت الصلاة حتى لا تضيع عليهم.

وعن هشام بن عروة قال: «كان أبي يأمر الصبيان بالصلاة إذا عقلوها، والصيام إذا أطاقوه».

وقال الإمام ابن الأثير «كان يُحبون أن يعلموا الصبي الصلاة إذا أثغر» أي سقط سنه.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

وإذا كانت الصلاة من أعظم وأولى ما يؤمر فيه بالمعروف، فإنه يدخل معها أيضًا الصوم والصدقة والآداب الإسلامية وغير ذلك من الطاعات. وكذلك إذا كان من الواجب على ولي أمر الأولاد أمرهم بالمعروف فإنه يجب عليه أيضًا أن ينهاهم عن المنكر، فلا يترك لهم في البيت ما يفسد عليهم دينهم أو دنياهم، أو أن يأخذهم إلى أماكن يُعصى فيها الله ورسوله ﷺ.

وقد ورد في السنة المطهرة ما يدل على نهي الأطفال عن المنكر، واعتنى به رسول الله ﷺ بنفسه **- كما اهتم به أصحابه الكرام ﷺ - ومن ذلك:**

[١] منع الأطفال عن الخروج عند جُنح الليل:

لما رواه البخاري عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«إذا استجنح الليل [١] - أو كان جُنح الليل - فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ. فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم»**

---

(١) جنح الليل: بضم الجيم وبكسرها: أي إقبال الليل بعد غروب الشمس.

وهذا الحديث يبين لنا أدبًا من الآداب الضائعة عند كثير من المسلمين، وهو منع خروج الأطفال بعد غروب الشمس خوفًا أن يصيبهم شرًا بسبب انتشار الشياطين.

[٢] حلق بعض الرأس وترك بعضه :

وهذه من العادات السيئة جدًا والتي انتشرت في ديار المسلمين في هذه الأيام، تشبهًا باليهود والنصارى، والذين قد نهينا عن التشبه بهم. فقد روى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ نهى عن القَزَع، قال: قلت لنافع: وما القزع؟ قال: «يُحلق بعض رأس الصبي ويُترك بعضه».

وقد رأى النبي ﷺ صبيًا قد حُلق بعض رأسه وتُرك بعضه، فنهى عن ذلك وقال: «احلقوا كله أو اتركوا كله»[(١)].

[٣] نهي النبي ﷺ الصبي عن إطاشة اليد في الإناء عند الأكل:

فقد روى الشيخان عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال:

(١) رواه أحمد وأبوداود وغيرهما، وصححه الألباني - رحمه الله - (صحيح سنن أبي داود (٢/ ٧٩٠).

كنت غـلامًا في حـجر[1] رسول الله ﷺ، كـانت يدي تطيش في الصحفـة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام! سمِّ الله وكل بيمينك، وكل مما يليك، فمازالت طِعْمتي بعد»[2].

[٤] شَقٌّ أمير المؤمنين الفاروق قميص حرير لابن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما:

فقد روى ابن أبي شيبة أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه دخل على عمـر رضي الله عنه ومعه ابن لـه، عليه قمـيص حرير، فشقَّ الـقميص، وإذا كـان يجب على ولي الأمـر أن يأمر بالمعـروف وينهـاه عن المنكر فـلابد من مـعـرفـة درجـات الاحتساب على الأطفال:

﴿ أ ﴾ التعريـف:

يُعرَّف الأطفال بما يجب أن يعتقده المسلم ويفعله، وما يجب أن يتركـه ويبتـعد عنه. وقد ثبت هذا فـي أمر النبي

---

(١) أي تربيته وتحت نظره، وأنه يربيه في حـضنه تربية الولد فتح الباري (٩/ ٥٢١).

(٢) فمازالت طعمتي بعد: أي صفة أكلي.

الكريم ابنَ عمِّه الصغير ابنَ عباس ﵄ بامتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، وألاَّ يسأل إلا إياه، وألاَّ يستعين إلا به، وثبت كذلك في نهيه ﷺ بنتا أنصارية عن نسبة علم الغيب إليه ﷺ ، وفي نهيه عمر بن أبي سلمة ﵄ عن مخالفة أدب إسلامي من آداب تناول الطعام.

ويكون استخدام هذه الدرجة بلطف ولين ورفق وشفقة ورأفة ورحمة، كما ثبت ذلك في إنكاره ﷺ على عمر بن أبي سلمة ﵄، وكان له الأثر العظيم في تمسكه بالآداب الإسلامية في الأكل طيلة حياته.

﴿ ب ﴾ الزجر:

تُسْتَخْدم هذه الدرجة عند الحاجة، لما ثبت من زجره ﷺ الحسن بن علي ﵄ عند تناوله تمرة من تمر الصدقة.

﴿ جـ ﴾ التغيير باليد:

تُسْتَخْدم هده الدرجة عند الاحتساب على الأطفال كذلك لدى الحاجة.

وقد دلت عدة شواهد على استخدامها. ومنها ما يلي:

[١] تحويل النبي الكريم ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما عن يساره في الصلاة إلى يمينه.

[٢] انتزاع النبي الكريم ﷺ تمرة الصدقة من فم الحسن بن علي رضي الله عنهما.

[٣] شقُّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قميص حرير لابن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما.

[٤] شق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قميص حرير لابنه.

[٥] نزع حذيفة رضي الله عنه قُمُصَ حرير عن ذكور ولده.

[٦] أمر أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها جاريتها بنزع خاتم ذهب من يد غلام.

﴿ د ﴾ الضرب:

تُسْتَخْدم هذه الدرجة كذلك لدى الحاجة أثناء الاحتساب على الأطفال .

ومن الأدلة والشواهد الدالة على استخدامها ما يلي:

[١] أمر النبي الكريم ﷺ بضرب الصبي على ترك الصلاة إذا بلغ عشر سنين.

[٢] ضرب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها اليتيم للتأديب.

[٣] قول الإمام ابن سيرين بضرب اليتيم على ما يُضْرَب عليه الابن.

﴿ جـ ﴾ المقاطعة:

تُسْتَخْدَم هذه الدرجة مع الأطفال إذا رؤي النفع في استخدامها. ومما يدل على استخدامها منع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها دخول جارية بيتها بسبب لبسها جلاجل يصوّتن حتى تُقْطَع.

تنبيهات:

﴿ أ ﴾ يُهتم عند الاحتساب على الأطفال بتقديم ما يساعدهم على فعل المعروف، وترك المنكر، لما ثبت من صنْع الصحابة اللعبة من الصوف لإلهاء

الأطفال عن طلب الطعام أثناء الصوم.

﴿ ب ﴾ يُعْتَنى كذلك بتقديم البديل عند تغيير المنكر الموجود لديهم كما فعلتْ أم سلمة ﷺ بالأمر بصنع خاتم من فضة لمَّا أمرتْ بنزع خاتم من ذهب من يد الصَّبيِّ.

﴿ جـ ﴾ لا يُلجأ إلى التعنيف والضرب إلا عند الحاجة.

﴿ د ﴾ عند استخدام درجة «الضرب» يُراعَى أن لا يكون الضرب مبرِّحًا.

﴿ هـ ﴾ يُحصَرُ استخدام درجتي «التغيير باليد» و«الضرب» في الأولياء أو ولاة أمور المسلمين أو من لهم شأن ومنزلة لدى أولياء أمور الأطفال، حيث يُحتَرَم أمرُهم ونهيُهم. أما عامة المسلمين فلا يُقْدِمون على احتساب أطفال الآخرين بالتغيير باليد والضرب حيث يُخْشَى أنْ يترتب على ذلك مفسدة)[1].

---

(١) الاحتساب على الأطفال - دكتور فضل إلهي - بتصرف واختصار ص (٧٣: ٧٨).

وهذا آخر ما تم جمعه في هذه الرسالة.

وصلى الله تعالى على نبينا وآل نبينا وأصحابه وأتباعه وبارك وسلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

الفقير إلى عفو ربه تبارك وتعالى

عصام بن محمد الشريف

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين





فهرس

فهرس




تم بحمد الله